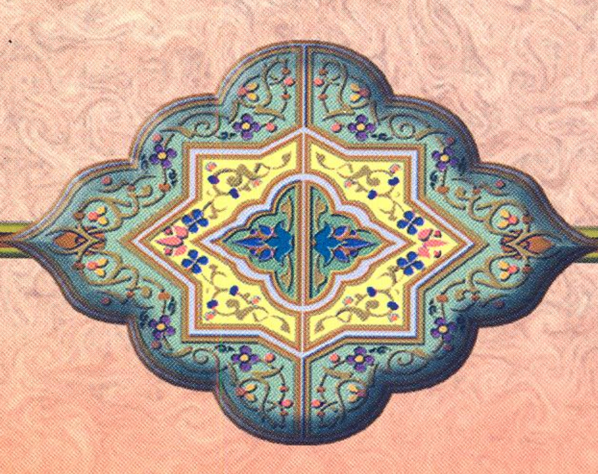
بصائر ذوي الشرف

بشرح

مرويات منهج السلف

تأليف

سليم بن عيد الهلالي



مكتبة الفرقان

بصائر ذوي الشرف

بشرح

مرويات منهج السلف

بصائر ذوي الشرف

بشرح

مرويات منهج السلف

تأليف

سليم بن عيد الهلالي

مكتبة الفرقان

عجمان

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

مكتبة الفرقان

عجمان - هاتف وفاكس: ٤٤٤٤٣٥ - ص ب: ٢٠٢٨٨

دولة الإمارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإنني بفضل الله ومنته منذ عرفت طريق الإسلام الحق المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله وسلكتها بفهم السلف منذ بواكير الصبا وقد مضى على ذٰلك ربع قرن ما ازددت في منهج السلف إلا بصيرة أنه الإسلام المصفّى من كل دخن، المنزل على قلب عبدالله ورسوله المصطفى ﷺ ليحرر الأمة من كل وهن، وينقي القلوب من جميع الإحن، ويجعلها على أقوم سنن.

وذٰلك أن هٰذا المنهج لم يلق إلينا من شيخنا محدث العصر وحافظ الوقت أبي عبد الرحمٰن الألباني ناصر السنة وقامع البدعة -حفظنا الله وإياه بما يحفظ به عباده الصالحين- دون رغبة منا أو تعلمناه أقوالاً جامدة أطرها آراء رجال يصيبون ويخطئونْ، ولذٰلك رأيت أن أزف لذوي الشرف البشائر الإلٰهية بجمع هٰذه البصائر النبوية الصحيحة المروية في تأييد منهج السلف وتأكيده، وأضعها بين يدي قومي: المسلمين وإخواني: الدعاة إلى الله من أهل العلم وطلابه الذين لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، وجعلوا هجرتهم لله ورسوله؛ ليزدادوا ثباتاً وقوة على قوة تدفعهم؛ ليمتشقوا حسام العلم، ويتسنموا غارب الحق؛ ليذبوا عن

الإسلام تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين اتخذوا القرآن عضين، وتفرقوا شيعاً وأحزاباً؛ فكانوا عزين، ويمشوا بهٰذا النور بين عباد الله يخرجونهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

ولا يخفى عليّ وأنا أذبُّ عن منهج السلف الصالح بما صحَّ عن رسول الله ﷺ ما يعلق به أو يسيء إليه ممن قد ينتسب إليه من حيث يدري أو لا يدري.

إن كنت تدري فتلك مصيبة وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم

لٰكن من المعلوم فطرة عند ذوي النباهة والشرف: أن خطأ الأتباع ليس خطأ في المنهج؛ لأنه إذا أخطأ القاضي فما ذنب القانون؟ وإنما تقع الأخطاء من الأتباع لما يعتري البشر من النقص والتقصير تارة، أو لعدم وضوح المنهج لدى بعض المنتسبين إليه أخرى، أو لأن بعض ذوي الأغراض القريبة والسفر القاصد يظنون أنهم باستطاعتهم امتطاء المنهج حيناً من الدهر حتى إذا بلغ أحدهم مرامه وحقق مراده نبذ المنهج ظهرياً وكشَّرعن أنيابه لدعاته وغمز من قنانهم، وأطلق فيهم القول الفظيع، وشنع عليهم بضروب التشنيع، ومرق منه كما يمرقُ السهم من الرمية ظناً منه بجهله أن يضع من رفعه الله، أو يميع دعوة حفظها الله، ولكني على بينة من ربي: أن أولئك لن يضروا المنهج السلفي شيئاً؛ لأن من تكفل الله به فلا ضيعة عليه، ولأن السلفية لن يضرها من خالفها أو خذلها حتى يأتي أمر الله وهي على الحق المبين ظاهرة ظافرة لا تبرح الصراط المستقيم حولاً، ولا تبتغي عن بدلاً.

وقد جعلته عشرة أبواب وخاتمة.

الباب الأول: من هم السلف الصالح؟

الباب الثاني: فضل السلف الصالح.

الباب الثالث: العلماء هم الدعاة إلى منهج السلف.

الباب الرابع: الأدلة على كون منهج السلف حجة.

الباب الخامس: خصائص منهج السلف.

الباب السادس: منهج السلف والفرقة الناجية.

الباب السابع: منهج السلف والطائفة المنصورة.

الباب الثامن: منهج السلف وواقع الأمة الإسلامية.

الباب التاسع: منهج السلف والمخرج من المحنة.

الباب الأخير: منهج السلف ومستقبل البشرية.

وسميته: «بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف» أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى: أن يتقبلنا بقبول حسن، وأن يهدينا لأقوم سنن، وأن يجعلنا للمتقين إماماً نتوكل عليه ونرشد إليه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وأرجو من أخ غيور ناصح أمين إن وجد ثغرة سدّها، وإن أبصر حسنة عدّها، وإن رأى خللاً أصلحه، وإن أبصر حقاً رجحه، وإن وجد مبهماً وضحه، ويتعهدني بالنصح؛ فإني متقلد منته آخر حياتي، وأما من يرى القذاة في عين

أخيه وينسى الأجذاع والأجذال في عينيه فلن يستطيع أن يشككنا فيما نحن عليه، وسنذكره لنحذره، وإن لم يرعو سنكيل له بالصاع كسل السندرة، فإني أبرأ إلى الله من الهوى وحظ النفس ومن كل ما خالف كتابه وسنة نبيه أو أقصد مجازفة فهم خير القرون في حياتي وبعد مماتي: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ﴾ [يوسف: ٥٣].

وكتبه بقلمه ونطقه بفمه
حامداً لربه ومصلياً ومسلماً على رسول الله ﷺ
أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي نسباً
السلفي عقيدة ومنهجاً وفروعاً وسلوكاً، النجدي موطناً
الخليلي الفلسطيني مولداً، الأردني هجرةً وإقامة ضحى يوم الجمعة
لثلاث ليال خلت من جمادى الآخرة سنة ١٤١٨هـ
في عمان البلقاء عاصمة جند الأرذن من بلاد الشام المحروسة

الباب الأول

من هم السلف الصالح؟

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»(١).

قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على العهد والشهادات.

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثه- قال النبي ﷺ: إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيه السِّمَن»(٢).

---

(١) صحيح - أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) (٢١١).

(٢) صحيح - قال الترمذي (٤/ ٥٠٠): «وقد روي من غير وجه عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ».

قلت: له عنه ثلاث طرق: =

. . . .

= **الأولى**: من طريق زَهْدَم بن مُضرِّب عنه: أخرجه البخاري(٢٦٥١)، ومسلم(٢٥٣٥) باللفظ المتقدم.

الثانية: من طريق زرارة بن أبي أوفى عنه بلفظ: «**خير هٰذه الأمة القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم**» زاد في حديث أبي عوانة قال: والله أعلم أذكر الثالث أم لا بمثل حديث زهدم عن عمران. وزاد في حديث هشام من قتادة: «**ويحلفون ولا يستحلفون**»: أخرجه مسلم (٢٥٣٥(٢١٥).

الثالثة: من طريق هلال بن يساف عنه بلفظ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم يتسمنون: يحبون السَّمَن، ينطقون الشهادة قبل أن يسألوها**»: أخرجه الترمذي (٢٢٢١ و٢٣٠٢)، والنسائي في «الكبرى» (٣/ ٤٩٤)، وأحمد (٤/ ٤٢٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٧٠ - ١٤٧٢)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٧٦)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٩٦)، والحاكم(٣/ ٤٧١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٦/ ٢٥٩).

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.

وتعقبهما شيخنا في «الصحيحه» (٦٩٩) قائلاً: «وهٰذا سند صحيح على شرط مسلم، وقول الحاكم: «على شرط الشيخين» وهم وإن وافقه الذهبي؛ لأن هلالاً إنما أخرج له البخاري تعليقاً».

تنبيهات:

١- وقع في إسناد النسائي: عن هلال بن يساف قال: «قدمت البصرة فإذا رجل من أصحاب النبي ﷺ ليس أنس بن مالك (وذكره)».

قال الحافظ في «النكت الظراف» (٨/ ١٩٤): «وقد رواه شعبه عن علي بن مدرك عن هلال عن رجل من الصحابة لم يسمه أخرجه النسائي».

قلتُ: جهالة الصحابة لا تضر ولو لم نعرف اسمه؛ لأنهم كلهم عدول، ولا شك أن هٰذا الصحابي هو عمران بن حصين؛ لأنه ورد صريحاً في مصادر أخرى.

٢- وقع في بعض المصادر زيادة حيث ورد في بعضها عن علي بن مدرك عن هلال بن يساف، وفي بعضها لم يذكر علي بن مدرك.

قال الترمذي: «هٰكذا رواه محمد بن فضيل عن الأعمش وهو غريب من حديث الأعمش عن علي بن مدرك».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم -والله أعلم أذكر الثالث أم لا- ثم يخلف أقوام يحبون السمانة، يشهدون قبل أن يستشهدوا»[1].

= وأصحاب الأعمش إنما رووه عن الأعمش عن هلال بن يساف عن عمران، ولم يذكروا فيه علي بن مدرك.

حدثنا الحسين بن حريث ثنا وكيع عن الأعمش ثنا هلال بن يساف عن عمران به.

وهٰذا أصح من حديث محمد بن فضيل».

وتعقبه الحافظ في «النكت الظراف» (٨/ ١٩٤) بقوله: «قلت: تابع ابنَ فضيل عبدُ الله بن إدريس ومنصور بن أبي الأسود (يعني عن الأعمش في إدخال علي بن مدرك) -قاله أبو عمر: وهو الصواب كذا قال -وعمدة الترمذي أن وكيعاً صرح فيه بالتحديث، فقال فيه ثنا الاعمش ثنا هلال- أخرجه ابن أبي خثيمة عن أبيه عن وكيع.

قلت (أي: الحافظ): وقد رواه شعبة عن علي بن مدرك عن هلال عن رجل من الصحابة (لم يسمه عمران بن حصين) أخرجه النسائي»

ورجحه أبو حاتم كما في «علل الحديث» (٣/ ٣١٨) فقال: «يدخل بين الأعمش وهلال بن يساف عليُّ بن مدرك»

قلت: ولا إشكال بحمد الله؛ فهٰذا من باب المزيد في متصل الأسانيد؛ كما هو مقرر عند الأئمة الفحول.

(١) **صحيح** - وله عنه أربع طرق:

الأولى: عن عبد الله بن شقيق عنه: أخرجه مسلم (٢٥٣٤) وغيره.

الثانية: عن محمد بن عجلان عن أبيه عنه قال: قيل يا رسول الله أي الناس خير؟ فقال: «أنا؛ والذين معي، ثم الذين على الأثر، ثم الذين على الأثر» ثم كأنه رفض من بقي.

أخرجه أحمد(٢/ ٢٩٧، ٣٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٧٨).

قلت: إسناده حسن.

الثالثة: من طريق عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه»: أخرجه البخاري (٣٥٥٧) وغيره. =

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجل رسول الله ﷺ: أي الناس خير؟ قال: **«القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث»**[(١)].

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، وأيمانهم شهادتهم»**[(٢)].

= الرابعة: من طريق داود بن يزيد بن عبد الرحمٰن الأودي عن أبيه عنه سمع النبي ﷺ يقول: **«خير الناس قرني منهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الرابع أردى إلى أن تقوم الساعة»**

أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/٣٤٧)، وابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢/٣٧٦ و٣٩٩).

قلت: داود وأبوه لا يحتج بهما، وقد اضطرب يزيد بن عبد الرحمٰن فيه؛ فجعله مرة من مسند أبي هريرة، وأخرى من مسند جعدة بن هبيرة: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/٣٤٧)، وابن أبي حاتم (٢/٣٧٦): «سمعت أبا زرعة يقول: حدثنا أبو نعيم عن داود من يزيد عن أبيه عن جده عن جعده بن هبيرة عن النبي ﷺ ولم يذكر الرابع أردى إلى أن تقوم الساعة. وأبو نعيم أحفظ من يونس وليس لجعدة صحبة».

وتابع عبدُ الله بن إدريس بن عبد الرحمٰن الأودي داود؛ فرواه عن أبيه عن جده عن جعدة بن هبيرة به: أخرجه الحاكم (٣/ ١٩١)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣٨٣)؛ فتبين أن العهدة في الاضطراب على يزيد بن عبد الرحمٰن، ومع ذٰلك فَجَوَّده الحافظ في «تهذيب التهذيب»(٢/ ٨١).

(١) صحيح - أخرجه مسلم (٢٥٣٦).

(٢) حسن- أخرجه أحمد (٤/٢٦٧ و٢٧٦ و٢٧٧-٢٧٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/١٧٧)، والبزار(٢٧٦٧ - كشف الأستار)، وابن حبان (٦٧٢٧)، والطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/١٩)، و«الأوسط» (١١٢٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٧٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار»(٦/ ٢٦٠-٢٦١)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٧٩٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٧٨). =

= من طرق عن عاصم بن بهدلة عن خيثمة بن عبد الرحمٰن عن النعمان .

قلت: إسناده حسن.

تنبيه: وقع في بعض الطرق ذكر القرن الرابع عند أحمد (٤/ ٢٦٧) من طريق شيبان عن عاصم عن خيثمة والشعبي عن النعمان بن بشير وذكره.

وعنده أيضاً (٤/ ٢٧٧-٢٧٨) من طريق أبي بكر بن عاصم .

قلت: إسنادها حسن.

وقال شيخنا حفظه الله في «الصحيحة» (٢/ ٣١٣): «في ثبوت هٰذه الزيادة عندي نظر، لأنها لم تأت من طريقة صحيحة، وعاصم بن بهدلة في حفظه شيء، فلا يحتج بما تفرد به دون الثقات، ومع ذٰلك فإنه قد اضطرب في هٰذه الزيادة، فإنه لم يذكرها في بعض الروايات الصحيحة عنه عند أحمد. . .»

هٰكذا قال حفظه الله، وقد تقدم أن أحمد رواها عن عاصم من طرق ثابتة، ومع ذٰلك فللحديث شاهد بالزيادة نفسها من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه: أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٨/ ١) من طريق حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضره عن عبد الله بن مَولَة قال: كنت أسير مع بريدة فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (وذكره).

ثم قال ابن حبان: هٰذه اللفظة: «ثم الذين يلونهم» في الرابعة تفرد بها حماد بن سلمة، وهو ثقة مأمون، وزيادة الألفاظ عندنا مقبولة، إذ جائز أن يحضر جماعةٌ شيخاً في سماع شيء، ثم يخفى على أحدهم بعض الشيء ويحفظه من هو مثله أو دونه في الاتقان».

قلت: وأخرجها أحمد (٥/ ٣٥٧) من طريق حماد بن سلمة.

وقال شيخنا في «الصحيحة» (٤/ ٤٥٧): «ولعله سهو من ابن سلمة فقد كان له بعض ذٰلك».

قلت: إسناده صحيح، ولا يضر اختلاط الجريري؛ لأن حماداً روى عنه قبل الاختلاط.

بل ثبتت هٰذه الزيادة من حديث عمران؛ فقد أخرجها ابن حبان (٧٢٢٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٤٦٠)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٥٨٤) من طريقين عن الأعمش حدثنا هلال بن يساف قال: سمعت عمران بن حصين (وذكره).

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات. =

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خطب عمر الناس بالجابية، فقال: إن رسول الله ﷺ قام في مثل مقامي هٰذا، فقال: **«أحسنوا إلى أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم يحلف أحدهم على اليمين قبل أن يستشهد، فمن أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة؛ فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة؛ فإن الشيطان ثالثهما، ومن كان منكم تسره حسنته، وتسوؤه سيئه؛ فهو مؤمن»**[1].

= وقد رجح الإمام ابن قيم الجوزية ثبوت هٰذه الزيادة، فقال في «إعلام الموقعين» (١/ ٦): «ثم جاءت الأئمة في القرن الرابع المفضل في إحدى الروايتين؛ كما ثبت في الصحيح».

(١) صحيح - وله طرق:

الأولى: من طريق جرير عن عبد الملك بن عمير عنه به: أخرجه ابن ماجه (٢٣٦٣)، والنسائي في «الكبرى» (٧/ ١٥ - تحفة الأشراف)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ٢٨٤-٢٨٥)، وابن حبان (٤٥٧٦ و٥٥٨٦)، وأحمد (١/ ٢٦)، والطيالسي(٣١)، وأبو يعلى (١٤١-١٤٣).

قلت: هٰذا إسناد صحيح.

تنبيهان:

الأول: قال الحاكم في «المستدرك» (١/ ١١٤): «فأما الخلاف في هٰذا الحديث عن عبد الملك بن عمير فإنه مجموع لي في جزء».

قلت: طرقه الأخرى ترفع الخلاف.

الثاني: قال البوصيري في «الزوائد» (ق ١٥٠/أ): «رجاله ثقات، إلا أن فيه عبد الملك بن عمير وهو مدلس، وقد رواه بالعنعنة».

قلت: صرح بالتحديث عند أبي يعلى (١٤١).

الثانية: من طريق محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر عن أبيه به: أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، وأحمد (١/ ١٨)، والحاكم (١/ ١١٤) والبيهقي (٧/ ٩١).

قلت: صححه الترمذي والحاكم والذهبي وغيرهم وهو كما قالوا. =

وفي الباب عن جماعة من الصحابة: منهم بريدة بن الحصيب[١]، وسعد بن تميم[٢]، وجعدة بن هبيرة[٣]، وسمرة بن جندب[٤]،

= **الثالثة**: من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن عمر به: اخرجه الحاكم (١/ ١١٤) وقال: «وقد روينا بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص عن عمر رضي الله عنه». وقال الذهبي: «وهٰذا صحيح».

قلت: فيه محمد بن مهاجر بن مسمار؛ لم يتبين لي من هو، فإن كان محمد بن مهاجر القرشي؛ فإنه لين، وإن كان غيره فلم أجد له ترجمة.

الرابعه: من طريق سليمان بن يسار عن أبيه عن عمر به: أخرجه الحميدي في «مسنده» (٣٢)

الخامسة: من طريق حماد بن يزيد عن معاوية بن قرة المزني عن كهمس الهلالي عن عمر نحوه: أخرجه الطيالسى (٣٢)، والبزار (٢٧٦٤ - كشف الأستار)، والخطيب البغدادي في «الموضح» (١/ ٩٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابه» (٣٢).

السادسة: من طريق الأعمش عن زيد بن وهب عن عمر: أخرجه الطبراني في «الاوسط» (٣٣٤٩-المعارف)، و«الصغير» (٣٥٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٧٢)، و«معرفة الصحابة» (٣٣).

(١) تقدم تخريجه (ص١٣) حاشية.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٧٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ١٥١)، والطبراني في «الكبير» (٥٤٦٠) من طريق صدقة بن خالد ثنا عمرو بن شراحبيل العنسي عن بلال بن سعد عن أبيه قال: أي أمتك خير يا رسول الله؟ قال: «إني وأقراني» قلنا: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «القرن الثاني» قلنا: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «القرن الثالث».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٩): «ورجاله ثقات».

(٣) سبق تخريجه (ص ١٢)حاشية.

(٤) ضعيف - أخرجه الطبراني في «الصغير» (٩٦)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/١٣٧)

قلت: إسناده ضعيف فيه علتان:

الأولى: سلام بن أبي مطيع روايته عن قتادة فيها ضعف.

الثانية: عنعنة قتادة، وأما عنعنة الحسن عن التابعين؛ فتحتمل.

وأبي برزة[١]، وجميلة بنت أبي لهب[٢]، وأنس[٣]، وجابر بن عبد الله[٤] رضي الله عنهم.

وروي مرسلاً عن عمرو بن شرحبيل، وقتادة رحمهم الله[٥].

---

(١) صحيح - وله طريقان:

الأولى: من طريق عبد الله بن موله بمثل حديث بريدة: أخرجه أبو يعلى (٧٤٢٠).

الثانيه: من طريق مبارك بن فضالة عن الأزرق بن منيب عنه: أخرجه البزار (٢٧٦٦- كشف الأستار)

قلت: إسناده ضعيف.

(٢) ضعيف - أخرجه ابن أبي عاصم (١٤٧٩) بإسناد فيه مبهم.

(٣) ضعيف جداً: أخرجه البزار (٢٧٦٥ - كشف الأستار) بإسناد ضعيف جداً؛ لأن يوسف بن عطية الصفار متروك.

(٤) ضعيف - أخرجه البزار (٢٧٦٣ - كشف الأستار) بإسناد ضعيف؛ فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ضعيف لسوء حفظه.

(٥) ولذلك عدّه الحفاظ من المتواتر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفرقان»: «وقد استفاضت النصوص الصحيحة عنه ﷺ أنه قال: «خير القرون[أ] قرني الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

وقال أبو نعيم في «حِلْيَةِ الأولياء» (٧٨/٢): «وقد قدمنا في فصل خير القرون أخباراً وآثاراً.

ثم أسنده عن جماعة من الصحابة: عبد الله بن مسعود، والنعمان بن بشير، وعمران بن حصين، وبريدة الأسلمي، وأبي هريرة، وعائشة.

ثم ذكر أنه رواه أبو سعيد الخدري، وأبو برزة الأسلمي، وسمرة بن جندب، وسعد أبو بلال ابن سعد في آخرين عن النبي ﷺ نحوه».

وأسنده في كتابه «معرفة الصحابة» (١/ ١٢٨-١٣٢) عن عمر، وعبد الله بن مسعود، وأبي هريرة. =

. . . .

(أ) قال شيخنا حفظه الله في تعليقاته على «التنكيل» (٢/ ٢٢٣): «هٰكذا اشتهر على الألسنة. . .»، وقد وقع في كثير من كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمها الله وبعض مصنفات العلماء هٰذا اللفظ، وهو غير محفوظ في شيء من كتب السنة، وإنما هي رواية معنى، والله أعلم.

ينبغي لسالكِ المنهجِ السلفي على بصيرة، وهٰذا شرطه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]: أن يعلم أنَّ مدلول هٰذه الكلمة ومشتقاتها يعلو على آصار الحزبية المقيتة، ويسمو فوق دهاليز السرية المميتة؛ لأنها واضحة كالشمس في رائعة النهار: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

وهٰذه الكلمة من حيث «اللغة» تدل على من تقدم وسبق بالعلم والإيمان والفضل والإحسان.

قال ابن منظور: «والسلف أيضاً من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل؛ ولهٰذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصَّالح»[1].

= ثم قال: «وفيه عن جماعة من الصحابة منهم عمران بن حصين، والنعمان بن بشير، وأبو سعيد الخدري. وسمرة بن جندب، وأنس بن مالك، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين على اختلاف بينهم في عدد القرون».

وقال الكتاني في «نظم المتناثر» (ص١٢٧): «أورده في «الأزهار» من حديث عبد الله بن مسعود، وعمران بن حصين، وأبي هريرة، وعائشة، وبريدة بن الحصيب، والنعمان بن بشير، وعمر بن الخطاب، وسعد بن تميم، وجعدة بن هبيرة، وسمرة بن جندب، وأبي برزة، وجميلة بنت أبي لهب وعمرو بن شرحبيل مرسلاً.

وقال السيوطي: يشبه أن الحديث متواتر» أ.هـ.

قلت: بل صرح شيخه الحافظ ابن حجر في «الإصابه» (١/ ١٢) بتواتره؛ فقال: «وتواتر عنه ﷺ قوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم».

(١) «لسان العرب» (٩/ ١٥٩).

قلت: ومنه قول رسول الله ﷺ لابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها: «**فإنه نعم السلف أنا لك**»(١).

وروي عن النبي ﷺ قوله لابنته رقية عندما توفيت رضي الله عنها: «**الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون**»(٢).

أما «**الاصطلاح**»؛ فهو وصف لازم يختص عند الاطلاق بالصحابة رضي الله عنهم، ويشاركهم فيه غيرهم تبعاً واتباعاً كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال القلشاني: «السلف الصالح، وهو: الصدر الأول الراسخون في العلم، المهتدون بهدي النبيِّ ﷺ، الحافظون لسنته؛ اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه، وانتخبهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمة الأمة، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده، وأفرغوا في نصح الأمة ونفعها، وبذلوا في مرضاة الله أنفسهم.

قد أثنى الله عليهم في كتابه بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وذكر تعالى فيها المهاجرين والأنصار ثم مدح إتباعهم، ورضي ذلك ومن الذين جاءوا من بعدهم، وتوعد بالعذاب من خالفهم واتبع غير سبيلهم فقال:

(١) صحيح - أخرجه مسلم (٢٤٥٠) (٩٨).

(٢) ضعيف - أخرجه أحمدُ (٢٣٧/١ و٣٣٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٣٧/٨)، وأعلّه شيخنا حفظه الله في «الضعيفة» (١٧١٥) بعلي بن زيد بن جدعان.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [النساء: ١١٥]؛ فيجبُ اتباعهم فيما نَقلوه، واقتفاءُ أثرِهم فيما عَملوه، والاستغفارُ لهم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر: ١٠]». أ. هـ[1].

وأقر أهل الكلام قديمهم وحديثهم بهٰذا الاصطلاح:

قال الغزالي معرفاً كلمة السلف: «أعني: مذهب الصحابة والتابعين»[2].

وقال البيجوري: «والمراد بمن سلف من تقدم من الأنبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم»[3].

قلت: وقد تناقل أهل العلم في القرون المفضلة هٰذا المصطلح للدلالة على منهج الصحابة ومن اتبعهم بإحسان.

١- قال البخاري قال: راشد بن سعد: «كان السلف يستحبون الفحولة؛ لأنها أجرى وأجسر»[4].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله مفسراً كلمة السلف: «أي: من الصحابة ومن بعدهم».

قلت: المراد الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنَّ راشد بن سعد تابعيٌّ؛ فالسلف عنده هم الصحابة لا ريب.

---

(١) «تحرير المقالة في شرح الرسالة» (ق ٣٦).

(٢) «إلجام العوام عن علم الكلام» (ص ٦٢).

(٣) «شرح جوهرة التوحيد» (ص ١١١).

(٤) «فتح الباري» (٦/٦٦).

٢- قال البخاري: «باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره»[١].

قلت: المراد الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم.

٣- قال البخاري: وقال الزهري في عظام الموتى -نحو الفيل وغيره: «أدركتُ ناساً من سلف العلماء يمتشطون بها، ويدَّهنون فيها، لا يرون بأساً»[٢].

قلت: المراد الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن الزهريَّ تابعيٌّ.

٤- أخرج مسلم من طريق محمد بن عبد الله قال: سمعت علي بن شقيق يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول على رؤوس الناس: «دعوا حديث عمرو بن ثابت؛ فإنه كان يسبُّ السلف»[٣].

قلت: المراد الصحابة رضي الله عنهم.

٥- قال الأوزاعيُّ: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفّوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم»[٤].

قلتُ: المراد الصحابة رضوانُ اللهِ عليهم.

ولذٰلك؛ فكلمة «السَّلف» اكتسبت هٰذا المعنى الاصطلاحي والذي لا يتجاوزه إلى غيره.

---

(١) المصدر السابق (٩/ ٥٥٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٤٢).

(٣) «المقدمة» (ص١٦).

(٤) أخرجه الآجريُّ في «الشريعة» (ص٥٨).

أَما من حيث «الزمان» فهي تستعمل للدلالة على خير القرون وأولاها بالاقتداء والاتباع، وهي القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية على لسان خير البرية محمد ﷺ، ويدخل القرن الرابع في إحدى الروايتين.

ولٰكن التحديد الزمني غير دقيق لحصر مفهوم السلف حيث نرى كثيراً من الفرق الضالة والبدع قد أطلت برؤوسها في تلك الفترة الزمنية[١]، لذٰلك فوجود الإنسان في ذٰلك العصر لا يكفي للحكم عليه بأنه على منهج السلف مالم يكن موافقاً للصحابة رضي الله عنهم في فهم الكتاب والسنة، ولذٰلك يقيد العلماء هٰذا المصطلح بـ «السلف الصالح».

وبهٰذا يظهر أنَّ مصطلح «السلف» حين يطلق لا يصرف على السبق الزمني فقط، بل إلى أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان.

وعلى هٰذا الاعتبار استقر مصطلح «السلف»؛ فهو يطلق على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه قبل الاختلاف والافتراق.

وأما «السلفية»؛ فهي نسبة إلى «السلف»، وهو انتساب محمود إلى منهج سديد، وليس ابتداع مذهب جديد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذٰلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً»[٢].

---

(١) وقد يقال: إن ظهور هٰذه الفرق في تلك الفترة دليل على صحة المنهج السلفي حيث تكلم فيها الصحابة وأهل العلم الذين ساروا على نهجهم وجعلوا المنهج السلفي المعيار، فذٰلك دليل على صحته وحجيته، وهٰذا توجيه حسن، ولٰكن مدار الأمر على المنهج السلفي؛ فتنبه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٤٩).

وقد يظن بعض الناس ممن يعرفون ولكنَّهم يحرفون عند ذكر «السَّلفيَّة»: أنها إطار جديد لجماعة إسلامية جديدة انتزعت نفسها من قلب دائرة الجماعة الإسلامية الواحدة، وهي تتخذ لنفسها من معنى هٰذا العنوان وحده مفهوماً معيناً، فتمتاز عن بقية المسلمين بأحكامها وميولاتها بل تختلف عنهم حتَّى بمزاجها النفسي ومقاييسها الأخلاقية[1].

وليس لذٰلك واقع ألبتة في المنهج السلفي؛ إذ السلفية تعني: الإسلام المصفى من رواسب الحضارات القديمة، وموروثات الفرق العديدة بكماله وشموله كتاباً وسنةً بفهم السلف الممدوحين بنصوص الكتاب والسنة.

---

(١) انظر ما كتبه الدكتور محمد رمضان سعيد البوطيّ في كتابه: «السَّلفية مرحلة زمانية مباركة لا مذهب إسلامي».

وهٰذا الكتابُ ظاهره الرَّحمة، وباطنه من قبلِه البدعة والفتنة، ومن ذٰلك:

١- حاول تفليس السلف من منهجهم العلمي في التلقي والاستدلال والاستنباط، وبذلك جعلهم بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ.

٢- جعل السلفية مرحلة تأريخية مضت وانقضت، ولن تعود إلا ذكريات وأُمنيات.

٣- ادعى أنَّ الانتساب للسلف بدعة، فأنكر أمراً ملأ سمع الزمان، وتناقله الركبان.

٤- إلتفاف حول منهج السلف لتصحيح مذهب الخلف حيث آل أمره إلى اعتبار مذهب الخلف حرزاً من مُضلّات الهوى؛ فأخفى حقائق تأريخيّة أظهرت أن مذهب الخلف أدى إلى انهيار الشخصيّة المسْلمة، وتمييع المنهج الإسلاميّ.

وقد كتب أهل العلم ردوداً عليه وأبانوا عن جهله وظلمه، ومن امتعها وأنفعها: ما كتبه الشيخ صالح الفوزان حفظه الله، وكذٰلك ما كتبه الأخ محمد فريز منفيخي في مجلتنا (الأصالة) العدد (١٣، ١٤) و(١٥، ١٦).

فإن شئت معرفة حقيقة دعوة البوطي، فانظر (الأصالة) العدد (١١) (ص٥٩)، والعدد (١٢) (ص٦٤).

وهٰذا الظن إنما صنعته أوهام قوم نفروا من هٰذه الكلمة الطيبة المباركة التي أصلها ضارب في جذور تأريخ هٰذه الأمة حتى تلتقي بالصدر الأوّل حتى زعموا: أن هٰذه الكلمة وليدة حركة الإصلاح التي حمل لواءها كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده أيام الاحتلال الإنجليزي لمصر(١).

وقائل هٰذا الوهم أو ناقله يجهل تأريخ هٰذه الكلمة الموصولة بـ «السلف الصالح»، معنى واشتقاقاً وزماناً، فلقد كانَ أهل العلم الأوّلون يصفون كلّ متبع لفهم الصحابة رضي اللهُ عنهم في العقيدةِ والمنهجِ بأنه سَلَفيٌّ.

فهٰذا مؤرخ الإسلام الحفظة الإمام الذهبي ينقل مقولة الحافظ الدارقطني: «ما شيء أبغض إلي من علم الكلام». ثم يقول: «لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذٰلك، بل كان سلفياً»(٢).

---

(١) هٰذه الدعوى عليها مؤاخذات عدة:

١- الحركة التي تبناها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ليست سلفية، وإنما عقلية خلفية حيث جعلوا العقل هو الآمر الناهي على النقل.

٢- ظهرت دراسات كثيرة حول حقيقة الأفغاني ودوافعه تلقي شبهاً كثيرة حول الرجل مما يجعل المتابع لسيرته في ترقب وحذر منه.

٣- أكدت الحقائق التأريخية ارتباط الشيخ محمد عبده الماسونية، وقد اعتذر عنه بأنه خدع بها، ولم يعلم حقيقتها !.

٤- إن ربط السلفية بحركة الأفغاني ومحمد عبده اتهام لها ولو من طرف خفي بما رمي به هٰؤلاء من ارتباطات مشبوهة، ودوافع غامضة.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٤٥٧).



الباب الثاني

فضل السلف الصالح

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢-٤]

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم أو نصيفه»**[١].

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: «والأخبار في هٰذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذٰلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم، المطلع على بواطنهم، إلى تعديل أحد من الخلق له، فهم على هٰذه الصفة إلا أن يثبت

---

(١) صحيح - أخرجه البخاري(٣٣٦٢)، ومسلم (٢٥٤١).

تنبيه: وقع عند مسلم(٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة وهو وهم؛ كما نبه على ذٰلك الحافظ البيهقي في «المدخل الى السنن» (ص١١٣)، والحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٣٥).

على أحد ارتكاب مالا يحتمل إلا قصد المعصية، والخروج من باب التأويل، فيحكم بسقوط العدالة، وقد برأهم الله من ذٰلك ورفع أقدارهم عنه، على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرنا لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبداً.

هٰذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء»[١].

ورب قائل يقول: لقد وردت أحاديث تدل على أن اللاحقين يدركون فضل السابقين وأجرهم.

عن أبي أمية الشعباني قال: سالت أبا ثعلبة الخشني، فقلت يا أبا ثعلبه كيف تقول في هٰذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ؛ فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً [٢]، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة[٣]، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك -يعني بنفسك- ودع عنك العوام؛ فإن من ورائكم أيام الصبر[٤] الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله**».

---

(١) «الكفاية في علم الرواية» (ص٤٨-٤٩).

(٢) بخلاً مطاعاً؛ بأن أطاعته نفسك، وطاوعه غيرك، وهو: أشد أنواع البخل وأضرها.

(٣) يختارها كل أحد على الدين، ويميل إليها، لا إليه.

(٤) بالإضافة: أي أياماً يعظم فيهن الصبر، ويتضاعف أجره.

وزادني[1] غيره[2] قال: يا رسول الله أجر خمسين منهم: قال: «أجر **خمسين منكم**»[3].

فالجواب ما ذكره أبو بكر بن العربي رحمه الله: «**تذاكرت بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبي بكر الفهري الطرطوشي حديث أبي ثعلبة المرفوع (وذكره) وتفاوضنا: كيف يكون أجر من يأتي من هٰذه الأمة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الإسلام، وعضدوا الدين، وأقاموا المنار، وافتتحوا الأمصار، ومهدوا الملة، وقد قال ﷺ في الصحيح: «لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم أو نصيفه»**[4].

---

(١) القائل: عبد الله المبارك؛ كما جاء عند الترمذي.

(٢) غير عتبة؛ كما جاء عند الترمذي.

(٣) **حسن بشواهده** -أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨) وحسنه، وابن ماجه (٤٠١٤)، والنسائي في «الكبرى» (٩/ ١٣٧- تحفة الأشراف)، وابن حبان (١٨٥٠- موارد)، وابو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٠)، والحاكم (٤/ ٣٢٢) وصححه ووافقه الذهبي، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٦٤-٦٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٤٧-٣٤٨)، و «معالم التنزيل» (٢/ ٧٢-٧٣)، وابن جرير الطبري في «جامع البيان في تفسير القرآن» (٧/ ٦٣)، وابن وضاح القرطبي في «البدع والنهي عنها» (٧١ و٧٦-٧٧)، وابن أبي الدنيا في «الصبر» (ق ٤٢/ ١)

من طرق عن عتبة بن أبي حكيم قال: حدثني عمرو بن جارية اللخمي عنه به.

قلت: تحسين الترمذي وتصحيح الحاكم والذهبي فيه نظر؛ لأن إسناده ضعيف فيه ثلاث علل

الأولى: عتبه بن أبي حكيم. قال الحافظ: «صدوق يخطىء كثيراً».

الثانية: عمرو بن جاريه مقبول.

الثالثة: شيخه أبو أمية الشعباني مثله لٰكن إسناده يعتبر به.

والحديث ثابت بشواهده؛ كحديث معاذ بن جبل، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وعبد الله بن مسعود وغيرهم، وقد استوفيت الكلام عليها في كتابي «القابضون على الجمر» (ص١٣-٢٣)؛ فانظره غير مأمور.

(٤) مضى تخريجه (ص ٢٥).

فتراجعنا القول، وتحصل ما أوضحناه في «شرح الصحيح» وخلاصته: أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد، ولا يدانيهم فيها بشر، وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الأجر من أخلص إخلاصهم، وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والإسلام، وهو أيضاً انتهاؤه، وقد كان قليلاً في ابتداء الإسلام، صعب المرام، لغلبة الكفار على الحق، وفي آخر الزمان يعود كذٰلك، لوعد الصادق بفساد الزمان، وظهور الفتن، وغلبة الباطل، واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق، وركوب من يأتي سنن من مضى من أهل الكتاب؛ كما قال ﷺ: **«لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»**[١]، وقال ﷺ: **«بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»**[٢].

فلا بد والله تعالى أعلم بحكم هٰذا الوعد الصادق أن يرجع الإسلام إلى واحد كما بدأ من واحد، ويضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى إذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف، وباع نفسه من الله تعالى في الدعاء إليه كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكناً منه معاناً عليه بكثرة الدعاة إلى الله تعالى.

حتى ينقطع ذٰلك انقطاعاً باتاً لضعف اليقين وقلة الدين؛ كما قال ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»**[٣] أ. هـ باختصار[٤].

---

(١) صحيح - أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وله شواهد عن جمع من الصحابة خرجتها في تخريج أحاديث «الوصية الصغرى» (ص ٣٢-٣٦).

(٢) متواتر، وسيأتي تخريج مفصلاً إن شاء الله (ص ١٢٤-١٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٨).

(٤) «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب» المقري، (٢/٣٧-٣٨).

قلت: وبهذا يتبين أن المفاضلة في حديث أبي ثعلبة الخشني في باب من الإسلام بينما تفضيل الصحابة وسبقهم[١] على غيرهم في جميع الأبواب؛ فتنبه.

وزد على ما تقدم أن السلف يؤاخذ بما لا يؤاخذ عليه الخلف يدل على ذلك قوله ﷺ: «إنكم اليوم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه، من ترك عُشْر ما يعَرفِ فقد هوى، ويأتي من بعد زمان كثير خطباؤه، قليل علماؤه، من استمسك بعُشْر ما يعرف فقد نجا»[٢].

---

(١) ومسألة السبق إلى الإيمان والتزام المنهج السلفي لها وزن كبير في دين الله يقتضي على اللاحقين عدم تجاوز السابقين أو محاولة تهميش دورهم وأثرهم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

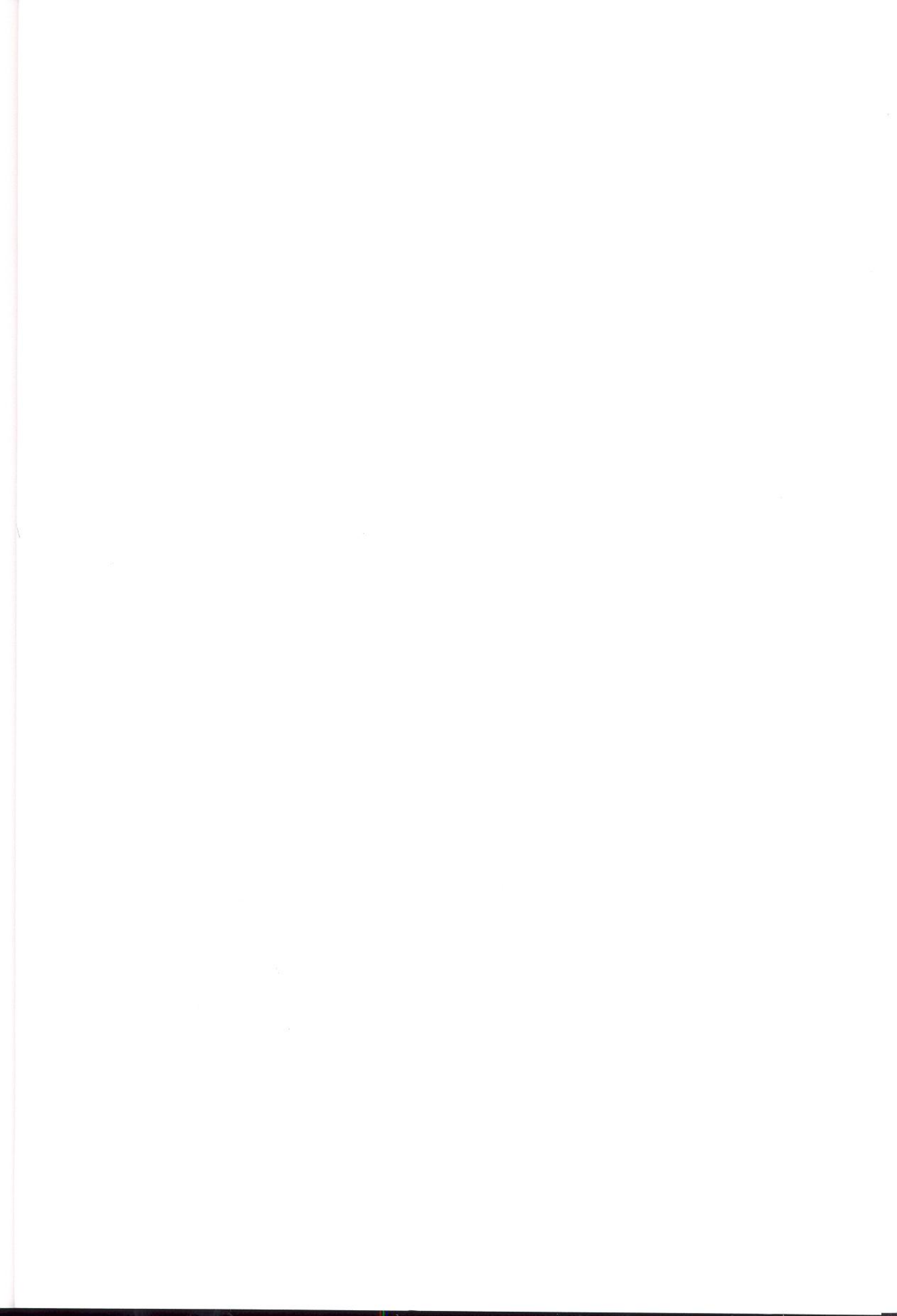
والسبق يتكرر في كل قرن؛ كما قال رسول الله ﷺ: «في كل قرن من أمتي سابقون»[أ].

ولا يقال في هذا المقام: العبرة بمن صدق وليس بمن سبق؛ لأنه لا يكون سابقاً إلا من بقي صادقاً، والله أعلم.

(٢) «الصحيحة» (٢٥١٠).

. . . .

(أ) «الصحيحة» (٢٠٠١).



الباب الثالث

العلماء هم الدعاة إلى منهج السلف

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولٰكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً؛ فسئلوا؛ فافتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا**»[(١)].

---

(١) صحيح - أخرجه البخاري (١٠٠ و٧٣٠٨) والرواية الثانية له، ومسلم(٢٦٧٣) من طريق هشام بن عروة من أبيه عنه به.

ثم تواتر عن هشام.

قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٦): «هٰذا حديث ثابت، متصل الإسناد، هو في دواوين الإسلام الخمسة -ما عدا سنن أبي داود- وهو من ثلاثة عشر طريقاً عن هشام، ومن طريق أبي الأسود يتيم عروة عن عروة نحوه.

وقد حدث به عن هشام عدد كثير سماهم أبو قاسم العبدي (ثم ذكرهم)» في بحث طويل نفيس؛ فلينظر.

قلت: وله شواهد عن:

١-أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٤٠٣)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ٣٤٥)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٦٥)، وابن تيمية في «الأربعين» (١٨/ ١١٤- الفتاوى) من طريق العلاء بن سليمان عن الزهري عن أبي سلمة عنه به نحوه. =

. . . .

= **قلت**: إسناده حسن إن شاء الله رجاله ثقات غير العلاء بن سليمان فيه لين.

وله طريق آخر عند الطبراني في «الأوسط» (٣٣٤- مجمع البحرين) وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وفيه ضعف؛ كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٠١).

وبالجملة؛ فالحديث صحيح.

٢- حديث عائشة رضي الله عنها: أخرجه البزار (١/ ١٢٣/ ٢٣٣- كشف الأستار) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣١٢-٣١٣) من طريقين عن عروة عنها به نحوه.

قلت: إسناده صحيح، وأما قول الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٠١): «رواه البزار وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف ووثقه عبد الملك بن سعيد بن الليث»؛ فهو حكم على إسناد البزار وليس على الحديث؛ فإن إسناده عند الخطيب ليس فيه كاتب الليث.

٣- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«يقبض الله العلماء قبضاً، ويقبض العلم معهم، فينشأ أحداث ينزو بعضهم على بعض نزو العير على العير، ويكون الشيخ فيهم مستضعفاً»**

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٣٥- مجمع البحرين) بإسناد ضعيف، لأن رشدين بن سعد ضعيف، ونسخة دراج أبي السمح عن أبي الهيثم ضعيفة.

٤- حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: لما كان في حجة الوداع قام رسول الله ﷺ وهو مردف الفضل بن عباس على جمل آدم، فقال: **«يا أيها الناس خذوا العلم قبل أن يقبض، وقبل أن يرفع...»** فقال أعرابي: يا نبي الله كيف يرفع العلم؟ قال: **«ذهاب العلم أن يذهب حملته»**

أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٦٧) من طريق معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عنه به.

قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن علي بن يزيد الألهاني متروك.

لكن له طريق آخر: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٠٦)، والدارمي (١/ ٧٧) من طريق القاسم أبي عبد الرحمن عنه.

قلت: إسناده حسن.

وبالجملة، فالحديث عندي بهذا التفصيل متواتر، وبخاصة أنه ورد في رفع العلم أحاديث كثيرة جداً، وانظر لزاماً تخريج أحاديث «الوصية الصغرى» (ص٦٢-٦٥).

وفي رواية: «فيبقى ناس جهال يستفتون، فيفتون برأيهم، فَيَضِلّون وَيضِلّون».

عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنَّةِ، وإنَّ الملائكةَ لَتَضَعُ أجنحتها رضاً لطالبِ العلم، وإنَّ العالمَ ليَستغفرُ له من في السماوات ومَن في الأرضِ، والحيتان في جوف الماء، وفضلُ العالم على العابدِ كفَضلِ القَمرِ ليلة البدر على سائرِ الكواكب، وإنَّ العلماء وَرَثةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً إنّما ورَّثوا العلمَ؛ فمَن أخَذَهُ أخَذ بحظٍّ وافرٍ»[1].

---

(١) حسن - أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٣٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٥/١٩٦)، والدارمي (١/٩٨)، والبغوي في «شرح السُّنة» (١/ ٢٧٥-٢٧٦)، وابن حبان (٨٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٣٦-٣٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٤٢٩) وغيرهم.

من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة يحدث عن داود بن جميل عن كثير بن قيس قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل فقال يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ ما جئت لحاجة، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (وذكره).

قلت: سقط من عند الترمذي (داود بن جميل) فقال: «ولا نعرف هٰذا الحديث إلاّ من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس هو عندي بمتصل هٰكذا حدثنا محمود بن حراش بهٰذا الإسناد.

وإنما يروى هٰذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن حميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النّبي ﷺ، وهٰذا أصح من حديث محمود بن حراش، ورأى محمد بن إسماعيل هٰذا أصح».

قلت: هٰكذا قال الترمذي «الوليد بن حميل»، وعندهم: «داود بن جميل»، ووقع عند أحمد في إحدى روايته «داود بن حميد» وهو تصحيف، والرواية الأخرى مثل الترمذي. =

العلماء في المنهج السلفي هم الدعاة إلى الله خلافاً لما شاع بين كثير من الدعاة المنتسبين للحركات الحزبية المعاصرة: أن العلماء غير الدعاة وهٰذا تفليس للعلماءمن دورهم الريادي القيادي ليخلو الجو لأنصاف الفقهاء حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام بدعوى أن العلماء لا يفقهون واقعهم فضلاً عن واقع أمتهم؛ فيصفونهم بعلماء الحيض والنفاس وأن فقههم لا يتعدى سراويل امرأه، وعلماء ذيل بغلة السلطان بينما الدعاة فهم فقهاء الواقع، والمنظرون، والمفكرون، والموجهون، والمرشدون، والحركيون.

ووقع في سنده خلاف ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٣٣-٣٧)، والمنذري في «تهذيب السنن» (٥/ ٢٤٣-٢٤٤).

ومدار الحديث على داود بن جميل وكثير بن قيس وهما ضعيفان، لٰكن جملة«وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجَنَّة» أوردها البخاري (١/ ١٥٩-١٦٠- فتح)، ولذٰلك قال الحافظ في «فتح الباري»: «طرف من حديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم مصححاً من حديث أبي الدرداء وحسنه حمزة الكناني وَضَعَّفَهُ عندهم سنده، لٰكن له شواهد يتقوى بها، ولم يفصح المصنِّف بكونه حديثاً فلهٰذا لا يعد في تعاليقه، لٰكن إيراده له في المترجم يشعر بأنَّ له أصلاً».

قلت: ومن شواهده ما أخرجه أبو داود (٣٦٤٢): حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي ثنا الوليد قال لقيت شبيب بن شيبة فحدثني به عن عثمان بن أبي سودة عن أبي الدرداء -يعني عن النَّبي ﷺ- بمعناه.

وهو سند حسن في الشواهد؛ فبه يتقوى الحديث.

واستدلَّ الحافظ ابن حجر رحمه الله على صحَّته بالكتاب العزيز فقال: «وشاهده في القرآن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]».

وأن العلماء نفعهم يقتصر على من حولهم؛ فهم كالبئر بينما الدعاة نفعهم يعم الأمة؛ لأنهم كالغيث يأتي الناس في ديارهم وحيث وقع نفع.

وهٰذه البدعة الحزبية باطلة من وجوه منها:

١- لقد بين الله سبحانه وتعالى أن أهل البصيره هم أتباع رسول الله ﷺ؛ كما قال الإمام ابن قيم الجوزية: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ إن كان عطفاً على الضمير في ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾؛ فهو دليل على أن أتباعه هم الدعاة إلى الله وإن كان عطفاً على الضمير المنفصل، فهو صريح أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به دون من عداهم.

والتحقيق: أن العطف يتضمن المعنيين؛ فأتباعه هم أهل البصيرة الذين يدعون إلى الله»(١)

وأوضح رسول الله ﷺ: أن العلماء ورثة الأنبياء؛ كما في حديث أبي الدرداء المذكور عنه، والأنبياء هم أئمة الدعاة؛ إذاً العلماء هم الدعاة إلى الله.

٢- والعلماء هم أئمة الدين وأمناء الشريعة؛ كما قال تعالى ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

والإمامة في الدين تقتضي الإمامة في الدعوة؛ كما قال تعالى ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]؛ إذاً العلماء هم الدعاة إلى الله.

---

(١) «الصواعق المرسلة» (١/ ١٥٥).

٣- والعلماء أفضل الناس بعد الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

وأفضل مقامات العبد هو الدعوة إلى الله ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩].

ولذٰلك؛ فإن الدعوة إلى الله التي هي أشرف مقامات العباد وأجلها وأفضلها لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه بل لا بد في كمال الدعوة من الرسوخ في العلم، ولكل مقام رجال، وأشرف المقامات وأعلاها يتربع على عرشها أفضل الناس بعد الأنبياء، وهٰذا يدل على أن العلماء هم الدعاة إلى الله.

٤- والعلماء حجة الله على العباد والموقعون عن رب العالمين؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

والحجة لا تقوم إلا على لسان عالم فقيه، ولذٰلك فالعلماء هم الدعاة إلى الله..

٥- والعلماء هم أولو الأمر الذين تجب طاعتهم كما قال جمهور السلف في قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]. ولذٰلك فهم أهل العلم والفقه والدعوة إلى الله.

٦- والعلماء هم أمناء الشريعة وأهلها؛ كما قال ابن قيم الجوزية: «أن الله جعل العلماء وكلاء وأمناء على دينه ووحيه، وارتضاهم لحفظه والقيام به والذب

عنه، وناهيك بها منزلة شريفة ومنقبة عظيمة قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٨، ٨٩]»[١]، ولذٰلك فالعلماء أجدر الناس بالدعوة إلى الله.

٧ ـ والعلماء هم أهل الذكر؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، والذكر هو العلم والدعوة، فعلى هٰذا فالعلماء هم أهل الدعوة إلى الله.

وعلى ذٰلك؛ فالعلماء هم القادة الذين يتصدرون الدعوة إلى الله ليوجهوا مسارها، ويرشدوا يقظتها، ويعمقوا فهمها، ويوجهوا شبابها، فإن لم يكن الأمر كذٰلك حدث الخلل، ودخل الدّخن، وهلّ الوهن؛ كما نبه عليه رسول الله ﷺ في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص في رفع العلم بقبض العلماء، وحينئذ يتخذ الناس رؤوساً جهالًا؛ فتغرق السفينة بانحراف الدعوة عن سبيل الله.

قال الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل حفظه الله: «بسبب فصل بعض الدُّعاة بين الشيخ (العالم) والدَّاعية، ظهرت أمور سلبية نراها جلية في كثير من الدعوات الإسلامية، من هٰذه الأمور:

أولًا: إتخاذهم رؤساء جهَّالًا، أغلبهم لا يفقهون من الدين إلا ما يحلو لهم، وغاية ما يملك بعضهم من العلم إنما هو مجرد أفكار وثقافات أشتات، زاد كثير منهم: مجرد العواطف والحركة، حتى كاد أن يكون مصطلح الداعية عندهم

---

(١) «تنقيح الإفادة المنتقى من مفتاح دار السعادة» (ص ٢٦٧).

من ليس بعالم، وأن العالم ليس بداعية، وأحياناً يقولون: فلان داعية؛ أي: ليس بعالم، وفلان شيخ من المشايخ، أي: ليس بداعية، وهٰذا وقوع فيما حذَّر منه الرسول ﷺ من اتخاذ رؤوساً جهالاً: يفتون بغير علم، فَيضِلُّوا ويُضِلُّوا.

ثانياً: قلَّة وجود العلماء والمشايخ، المتفقهين في الدين، المتضلعين في العلوم الشرعية بينهم، في أكثر الدعوات المعاصرة مع أن وجود أهل العلم المتفقهين في الدين شرط من شروط الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى خاصة في الدعوات الكبرى، التي ينضوي تحت لوائها جماعات وفئام من الناس، فهٰذه لا ينبغي أن يفقد فيها العالم، أو أن يكون العالم فيها مغموراً، أو لا يتصدَّر الدعوة.

ثالثاً: قصور النظرة في فهم قدر العلماء والمشايخ، وبمنزلتهم عند كثير من أتباع هٰذه الدعوات، فمن هنا وجد من بعضهم إتهام للعلماء بالقصور أو التقصير أو قلة الوعي، أو أي نوع من أنواع التنقيص لتبرير عدم صلة الدّعاة بالعلماء، بل إن بعض الدّعاة يرفع نفسه ودعوته على حساب الكلام في أعراض العلماء، وهٰذا الأمر وإن كان مؤلم لٰكن لا بد من ذكره، ولا بد من السعي لعلاجه.

رابعاً: توريط بعض شباب الأمة بالانتماء للشعارات والقيادات الدعوية، وليس للمشايخ والعلماء، بل أصبح الانتماء للشعار والجماعة أكثر منه للسنَّة والجماعة وأهل العلم.

خامساً: فصل الشباب عن أئمتهم وعن مشايخهم وعن علمائهم، ومن ثم حجبهم عن النظرة الشرعية الشمولية للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وغاياتها ومنهاجها، وحجبهم عن الاهتداء بهدي أئمة السُنَّة قديماً وحديثاً، بل إن بعض الجماعات تربي شبابها على جوانب من مناهج السلف تخدم أهدافها، أو تخدم

الجماعة وشعاراتها، وتُغفل الجوانب الأخرى والسنة والعلم وسير أهل العلم.

وهٰذه من أساليب أهل الأهواء وأهل البدع: يأخذون من الأئمة ما يحلو لهم من قول أو فعل، ويتركون الباقي.

وهٰذا خلل في النظرة، وخلل في النهج.

سادساً: نتج عن الفصل بين الدعاة والعلماء: كثرة الشعارات والأهواء والانتماءات والافتراقات والعصبيات لجماعات أو لأشخاص مع العلم أن الأمة لا يجمعها على السنَّة والخير إلا علماؤها، ومهما بالغت الفرق، أو مهما بالغت الجماعات والدعاة في أي مكان وفي أي زمان للسعي على جمع المسلمين دون الاسترشاد بأهل العلم، ودون أن يجعلوا العلماء قادة وموجهين ومرشدين وأئمة للدعوات؛ فإن الشمل لن يجتمع، نعم لن يجتمع شمل الأمة إلا بالالتفاف حول علمائها، مهما بلغت الدعوات من السعي إلى وسائل الجمع وأساليبه، وهٰذا الخلل سبب رئيسي في كون الجماعات تتنافر ولا تتفاهم، وتفترق وتفرق أكثر مما تجتمع وتجمِّع، وواقعها شاهد بذٰلك.

سابعاً: نتج عن العزل بين العلماء وبعض الدعوات المعاصرة: أن نَشَأَت لبعض الدعوات مناهج وأفكار وكتب ومؤلفات معزولة عن السنن، وعن العلوم الشرعية بشموليتها، بل وحتى بتفصيلاتها، وصارت كل طائفة تأخذ من العلوم الشرعية ما يناسب أوضاعها، وهٰذا أسلوب من الأساليب الخاطئة التي تخالف منهج السلف، حتى نشأ للدَّعوة في العالم الإسلامي علم يشبه علم الكلام لدى الجماعات في ارتباطه بالأهواء والأشخاص، لا بارتباطه بالسنة وبالأئمة.

وقد برزت في الآونة الأخيرة، نتيجة لهٰذا الفصل بين الدعاة والعلماء: دعوات كبرى، قوامها وركائزها، رؤساء ليسوا بعلماء، وتعتمد على أفكار وحركات محدثة، تخالف هدي الإسلام وعلى عواطف لا تضبطها القواعد الشرعية ولا المصالح المعتبرة.

ثامناً: كما نتج عن هٰذا التقصير في طلب العلم الشرعي على أصوله وعلى مناهجه السليمة الصحيحة، بل ونتج من ذٰلك عند أصحاب الدعوات التي تفصل بين العلماء والدعاة: الحيلولة بين أتباعها وبين تحصيل العلم من المشايخ، بل كثيراً ما ترد إشكالات من بعض الشباب في شتى بلاد العالم الإسلامي من صرف بعض الدعاة لأتباعهم عن العلماء بذرائع شتى، حتى أن بعضهم قد يعاقب الشاب الذي ينتمي إليه لماذا جلس يطلب العلم الشرعي على الشيخ فلان.

ونتيجة لذٰلك حصل الخلل في المفهوم، فقد فهم بعض الدعاة -هداهم الله- بسبب العزلة بينهم وبين المشايخ: أن المشايخ خصوم أو أعداء للدعوة، أو أن لديهم ما يضر بالمنتسب للدعوة، أو ما يشوش أفكاره عليها.

وسبب ذٰلك: أن في دعواتهم أمراضاً ومصائب لا يرضاها العلماء، وقد ينتقدونها، ومن هنا تعللوا بصرف شبابهم عن العلماء وأهل العلم والفقه في الدين.

وهٰذا مسلك خطير يجب ألا يستمر عليه من ينشد الحق والإصلاح، ولذٰلك وجب مناصحة أولئك الدعاة وبيان الحق لهم.

تاسعاً: في بعض الدعوات التي تسلك هٰذا المسلك ظهرت فئام من الجماعات والدعاة والشباب في البلاد الإسلامية وغيرها عددها ليس بالقليل، بعض شيوخهم على قلة في الفقه وضعف في العلم، أو تتلمذوا على الأقل علماً، واتخذوا شيوخهم الأصاغر، ولذٰلك حذّر النبي ﷺ من ذٰلك حيث قال:

«إن من أشراط الساعة: أن يُلتمس العلم عند الأصاغر»[١].

وهٰذا يشمل الأصاغر في العلم والقدر والسن، وكل ذٰلك حاصل في هؤلاء، أو شيوخهم: كتبهم، وما يرشحونه من كتب فكرية أو ثقافية.

وأغلب ما تعتمد هٰذه الجماعات على الكتب الفكرية والثقافية أكثر من الكتب الشرعية، بل فيهم من يتنكر لكتب السلف، وقادتهم جهالهم، وأحكامهم أهواءهم، مما أدى إلى الخلط وإلى الخبط والاضطراب عند بعض هٰؤلاء في العقائد، وفي الأحكام، وفي المواقف، وفي التعامل مع الآخرين، وفي النظرة إلى قضايا الأمة الكبرى، وفي التصرفات الطائشة التي تحدث من بعضهم، وفي صدور الأحكام المتعجلة، ونحو ذٰلك من المظاهر التي نراها في فئة من الشباب وإن كانت والحمد لله قليلة، لٰكن القليل في مثل هٰذه الأمور لا ينبغي الاستهانة به، بل ينبغي علاجه؛ لأنه إذا كثر قد يصعب، بل قد يستحيل علاجه»[٢].

---

(١) صحيح -أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦١). واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٠٢)، والخطيب البغدادي في «الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع» (١٣٧/١).

من طريق ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن أبي أمية الجمحي مرفوعاً.

قلت: إسناده صحيح؛ لأن حديث ابن لهيعة صحيح إذا كان من رواية العبادلة عنه، وابن المبارك منهم.

ومع هٰذا لم ينفرد به ابن لهيعة؛ فقد تابعه سعيد بن أبي أيوب عند الخطيب البغدادي (١٣٧/١) وهو ثقة ثبت.

وقد فسر ابن المبارك الأصاغر بـ: «أهل الأهواء والبدع».

(٢) «العلماء هم الدعاة» (ص١٧-٢٤).



الباب الرابع
الأدلة على كون منهج السلف حجة

١- قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله[1]: «فوجه الدلالة أن الله تعالى أثنى على من اتبعهم؛ فإذا قالوا قولاً فاتبعهم متبع قبل أن يعرف صحته فهو متبع لهم، فيجب أن يكون محموداً على ذٰلك، وأن يستحق الرضوان.

ولو كان اتباعهم تقليداًمحضاً كتقليد بعض المفتين لم يستحق من اتبعهم الرضوان إلا أن يكون عامياً، فأما العلماء المجتهدون فلا يجوز لهم اتباعهم حينئذ».

قلت: دلت الآية على حجية منهج الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنه دليل فاستحق متبعهم الرضوان فلا يمدح الا من اتبع الدليل، ولذٰلك وجب اتباعهم على العالم والعامي سواء؛ لأن فرض العالم اتباع الدليل؛ كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣] ولو لم يكن كذٰلك لاستحق العقوبة، ولم يستحق الرضوان؛ فتدبر.

---

(١) عقد الإمام الهمام شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية فصلاً عجاباً في كتابه المستطاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (١١٨/٤ - ١٥٦) قرر فيه حجية منهج الصحابة في بيان متين، وتفصيل بديع؛ فجميع أقواله في هٰذا الباب مستلة منه؛ فتنبه.

٢- قال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢١].

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «هٰذا ما قصّه الله سبحانه وتعالى عن صاحب يس على سبيل الرضاء بهٰذه المقالة، والثناء على قائلها، والإقرار له عليها.

وكل واحد من الصحابة لم يسألنا أجراً وهم مهتدون بدليل قوله تعالى: خطاباً لهم: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولعل من الله واجب.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٦، ١٧].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٤، ٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وكل منهم قاتل في سبيل الله، وجاهد إما بيده أو بلسانه؛ فيكون الله قد هداهم، وكل من هداه الله فهو مهتد؛ فيجب اتباعهم بالآية».

٣- قال تعالى: ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ﴾ [لقمان: ١٥].

قال ابن قيم الجوزية: «وكل من الصحابة منيب إلى الله؛ فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله.

والدليل على أنهم منيبون إلى الله تعالى: أن الله قد هداهم، وقد قال: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]».

٤- قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال ابن قيم الجوزية: «فأخبر تعالى أن من اتبع الرسول يدعو إلى الله، ومن دعى إلى الله على بصيرة وجب اتباعه؛ لقوله تعالى فيما حكاه عن الجن ورضيه: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الاحقاف: ٣١].

ولأن من دعا إلى الله على بصيرة فقد دعا إلى الحق عالماً به، والدعاء إلى أحكام الله دعاء إلى الله، لأنه دعاء إلى طاعته فيما أمر ونهى، وإذاً فالصحابة رضوان الله عليهم قد اتبعوا الرسول ﷺ، فيجب اتباعهم إذا دعوا إلى الله».

٥- قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «شهد الله تعالى بأنهم يأمرون بكل معروف، وينهون عن كل منكر، فلو كانت الحادثة في زمانهم لم يُفتِ فيها إلا من أخطأ منهم لم يكن أحد قد أمر فيها بمعروف، ولا نهى فيها عن منكر، إذ الصواب معروف بلا شك، والمنكر خطأ من بعض الوجوه، ولولا ذلك لما

صح التمسك بهٰذه الآية على كون الاجماع حجة، وإذا كان هٰذا باطلاً علم أن خطأ من يعلم منهم في العلم إذا لم يخالفه غيره ممتنع، وذٰلك يقتضي أن قولهم حجة».

٦- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال ابن قيم الجوزية: «ولا ريب أنهم أئمة الصادقين، وكل صادق بعدهم فبهم يأتم في صدقه، بل حقيقة صدقه اتباعه لهم وكونه معهم.

ومعلوم أن من خالفهم في شيء، وإن وافقهم في غيره، لم يكن معهم فيما خالفهم فيه، وحينئذٍ فيصدق عليه أنه ليس معهم، فتنتفي عنه المعية المطلقة، وإذا ثبت له قسط من المعية فيما وافقهم فيه، فلا يصدق عليه أنه معهم بهٰذا القسط.

وهٰذا كما نفى الله ورسوله الإيمان المطلق عن الزاني والشارب والسارق والمنتهب، بحيث لا يستحق اسم المؤمن، وإن لم ينتف عنه مطلق الاسم الذي يستحق لأجله أن يقال: معه شيء من الإيمان.

وهٰذا كما أن اسم الفقيه والعالم عند الإطلاق لا يقال له لمن معه مسألة أو مسألتان من فقه وعلم، وإن قيل: معه شيء من العلم.

ففرق بين المعية المطلقة ومطلق المعية، ومعلوم أن المأمور به الأول لا الثاني، فإن الله تعالى لم يرد منا أن نكون معهم في شيء من الأشياء، وأن نحصل من المعية ما يطلق عليه الاسم، وهٰذا غلط عظيم في فهم مراد الرب تعالى من أوامره.

فإذا أمرنا بالتقوى والبر، والصدق، والعفة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، ونحو ذٰلك؛ لم يرد منا أن نأتي من ذٰلك بأقل ما يطلق عليه الاسم، وهو مطلق الماهية المأمور بها، بحيث نكون ممتثلين لأمره إذا أتينا بذٰلك، وتمام تقرير هٰذا الوجه بما تقدم في تقرير الأمر بمتابعتهم سواء».

٧- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال ابن قيم الجوزية: «ووجه الاستدلال بالآية أنه تعالى أخبر أنه جعلهم أمة خياراً عدولاً، هٰذا حقيقة الوسط، فهم خير الأمم، وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإرادتهم ونياتهم، وبهٰذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة، والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم، فهم شهداؤه، ولهٰذا نوّه بهم ورفع ذكرهم وأثنى عليهم؛ لأنه تعالى لما اتخذهم شهداء أعلم خلقه من الملائكة وغيرهم بحال هؤلاء الشهداء، وأمر الملائكة أن تصلي عليهم، وتدعو لهم، وتستغفر لهم.

والشاهد المقبول عند الله هو الذي يشهد بعلم وصدق، فيخبر بالحق مستنداً إلى علمه به؛ كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، فقد يخبر الإنسان بالحق اتفاقاً من غير علمه به، وقد يعلمه ولا يخبر به؛ فالشاهد المقبول عند الله هو الذي يخبر به عن علم.

فلو كان علمهم أن يفتي أحدهم بفتوى وتكون خطأ مخالفة لحكم الله ورسوله، ولا يفتي غيره بالحق الذي هو حكم الله ورسوله، إما مع اشتهار فتوى الأول أو بدون اشتهارها؛ كانت تلك الأمة العدل الخيار قد أطبقت على خلاف

الحق، بل انقسموا قسمين: قسماً أفتى بالباطل، وقسماً سكت عن الحق، وهٰذا من المستحيل، ونحن نقول لمن خالف أقوالهم: لو كان خيراً ما سبقونا إليه»[1].

٨- قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٨].

قال ابن قيم الجوزية: «فأخبر تعالى أنه اجتباهم، فهم المجتبون الذين اجتباهم الله إليه، وجعلهم أهله وخاصته، وصفوته من خلقه بعد النبيين والمرسلين، ولهٰذا أمرهم تعالى أن يجاهدوا فيه حق جهاده، فيبذلوا له أنفسهم، ويفردوه بالمحبة والعبودية، ويختاروه وحده إلٰهاً معبوداً محبوباً على كل ما سواه، كما اختارهم على من سواهم، فيتخذونه وحده إلٰههم ومعبودهم الذي يتقربون إليه بألسنتهم وجوارحهم، وقلوبهم ومحبتهم وإرادتهم، فيؤثرونه في كل حال على من سواه، كما اتخذهم عبيده وأولياءه وأحباءه، وآثرهم بذٰلك على من سواهم.

ثم أخبرهم تعالى أنه يسَّر عليهم دينه غاية التيسير، ولم يجعل عليهم فيه من حرج ألبتة؛ لكمال محبته لهم، ورأفته ورحمته، وحنانه بهم، ثم أمرهم

(١) مراده: أنه لو كان خيراً ما سبقنا مخالفوهم إليه؛ لأنه لو كان خيراً لسبقنا السلف الصالح إليه؛ فإنهم أعمق علماً، وأرسخ فهماً، وأعلى كعباً في فهم مراد الله ورسوله؛ نطق بهم الكتاب وبه نطقوا، وقامت بهم السنة وبها قاموا، وزكت نفوسهم من حب نفوسهم، فكانوا أبر هٰذه الأمة قلوباً، وأرقها أفئدة؛ فهم على صراط مستقيم لا يضل متبعهم ولا يشقى جليسهم.

بلزوم ملة إمام الحنفاء أبيهم إبراهيم، وهي إفراده تعالى وحده بالعبودية والتعظيم والحب والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والتفويض والاستسلام، فيكون تعلق ذٰلك من قلوبهم به وحده لا بغيره، ثم أخبر تعالى أنه نوَّه بهم، وسمّاهم[1]

---

(١) سمّاهم المسلمين، وكذٰلك سمّاهم رسول الله ﷺ؛ كما في حديث الحارث الأشعري: «... فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين عباد الله».

أخرجه الترمذي (٢٨٦٣ و٢٨٦٤)، وأحمد (٤/ ٢٠٢) وغيرهم بإسناد صحيح.

وقد تمسك بهٰذه التسمية سواد أهل البدع للتشكيك في مشروعية إطلاق السلفية على دعوة الإسلام الحق قائلين: إن الله سمانا المسلمين، ولم يسمنا السلفيين؛ لأن إطلاق السلفية يفرق المسلمين.

ولا يخفى مرادهم من وراء ذٰلك وهو: تمييع دعوة الحق لتشتبه بالباطل الذي يدعون إليه؛ فهٰذا التلبيس هو عصاهم التي يتوكؤون عليها: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١] وحتى لا يجرؤ أحد من دعاة السنة ممن قد ينطلي عليه هٰذا التدليس على التحذير من بدعهم وأهوائهم.

وهٰذا احتجاج باطل، ورأي عاطل، وجوابه من وجهين: مجمل، ومفصل سنذكره من باب التنزل لنلبس على أهل الباطل ما يلبسون.

أما المجمل: فإن هٰذه التسمية الإلهية قبل الاختلاف والافتراق الذي حدث في الأمة الإسلامية حيث كان المسلمون أمة واحدة دون الناس، وفي هٰذه الحال لا يوجد اسم غير المسلمين أو ما ثبت في الدين، ولذٰلك عندما يعود المسلمون كما كان رسول الله ﷺ وأصحابه أمة واحدة وجماعة واحدة تساقط جميع المسميات تلقائياً ومن أصر على شيء منها فعندئذ يقال له: تريد تفريق جماعة المسلمين، وأما والأمة طرائق قدداً فلا بد من تمييز أهل الحق لمنهجهم للمفاصلة عن أهل الباطل وأهوائهم؛ يوضحه الجواب المفصل، وهو من وجوه متعددة:

الأول: أن كلمة المسلمين الآن تعني أهل القبلة.

الثاني: أن أهل القبلة ينتسب إليهم كل فرق أمة.

الثالث: أن فرق الأمة كلها منحرفة عن الصراط المستقيم إلا واحدة كما في أحاديث الافتراق المتواترة.

الرابع: هٰذه الفرقة الناجية هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه. =

. . . .

= الخامس: أن الجمع بين الفرقة الناجية والفرق الهالكة تحت كلمة «المسلمين» بمعناها الآن لا يميز أهل الحق عن أهل الباطل مع أن تمييز أهل الحق مراد شرعي جاء على لسان رسول الله ﷺ. فسماهم «الجماعة»، و«الغرباء»، وجعل منهجهم هو أمارتهم فقال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، ولذٰلك فتعطيل مراد رسول الله ﷺ ضلال.

السادس: لقد أدرك علماء السلف مراد رسول الله ﷺ وأطلقوا على الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أهل الحديث.

ولم نسمع خلال القرون من أنكر هٰذه التسمية وجعلها مخالفة لمقاصد الشرع وتسمية الله لعباده بـ «المسلمين»؛ فعلم إجماع علماء الفرقة الناجية والطائفة المنصورة على ذٰلك.

السابع: ولذٰلك فتعريف الفرقة الناجية والطائفة المنصوره باسم شرعي أمر شرعي.

الثامن: كل فرق الأمة تدعي أنها على الكتاب والسنة ولٰكن الذي يميز المحق من المبطل هو منهج فهم الكتاب والسنة، فهو عند الفرقه الناجية اتباع فهم الصحابة، وعند غيرهم اتباع بنيات الطريق، ولذٰلك لا يمكن أن يفهم السامع من رجل يقول عن نفسه أنا مسلم أنه على الكتاب والسنه بفهم سلف الأمة بل سترد عليه جميع فرق الأمة.

التاسع: ولما كان خير الكلام ما قل ودل؛ فإن المسلم الذي على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة الصحابة ومن تبعهم هو السلفي وقد مضى في الباب الأول أدلة على استعمال أهل العلم لـ «السلفية» كمصطلح للدلالة على منهج الحق وأهله.

العاشر: أن الاستعمال القرآني والسني لكلمة المسلمين هو للصحابة ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ولما كانت هٰذه الكلمة لا تعطي معناها المراد منها في كلام الله ورسوله فينبغي على المصر عليها أن يصرح بمنهجه عند كل سؤال: أنه مسلم على الكتاب والسنة بفهم صحابة النبي ﷺ، وعندئذٍ سيجد من يقول له: هٰذا التفصيل يفرق المسلمين.

الحادي عشر: أن هٰذا التفريق الذي يراد منه ذم السلفية ودعاتها تفريق شرعي؛ لأن محمداً فَرْقٌ بين الناس، والقرآن هو الفرقان بين الحق والباطل، وأهل السنة والجماعة فرق بين فرقة النجاة وفرق الغواية، وكذٰلك السلفية فرق بين منهج الحق ومناهج الباطل.

هٰذا ما تيسر ذكره، وعلى العاقل أن يُعمل فكره، ولا يأبه للشر ومكره.

كذٰلك بعد أن أوجدهم، اعتناء بهم، ورفعة لشأنهم، وإعلاء لقدرهم.

ثم أخبر تعالى أنه فعل ذٰلك ليشهد عليهم رسوله، ويشهدوا هم على الناس، فيكونوا مشهوداً لهم بشهادة الرسول، شاهدين على الأمم بقيام حجة الله عليهم، فكان هٰذا التنويه؛ وإشارة الذكر لهٰذين الأمرين الجليلين؛ ولهاتين الحكمتين العظيمتين

والمقصود: أنهم إذا كانوا بهٰذه المنزلة عنده تعالى؛ فمن المحال أن يحرمهم كلهم الصواب في مسألة؛ فيفتي فيها بعضهم بالخطأ، ولا يفتي غيره بالصواب، ويظفر فيها بالهدى من بعدهم، والله المستعان».

٩- قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

قال ابن قيم الجوزية: «ووجه الاستدلال بالآية: أنه تعالى أخبر عن المعتصمين به بأنهم هدوا إلى الحق.

فنقول: الصحابة رضوان الله عليهم معتصمون بالله فهم مهتدون؛ فاتباعهم واجب.

أما المقدمة الأولى فتقريرها من وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨] ومعلوم كمال تولي الله ونصره إياهم أتم نصرة، وهٰذا يدل على أنهم اعتصموا به أتم اعتصام، فهم مهديون بشهادة الرب لهم بلا شك، واتباع المهدي واجب شرعاً وعقلاً وفطرة بلا شك».

١٠- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال ابن قيم الجوزية: «فأخبر تعالى أنه جعلهم أئمة يأتم بهم من بعدهم لصبرهم ويقينهم، إذ بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، فإن الداعي إلى الله لا يتم له أمره إلا بيقينه للحق الذي يدعو إليه، وبصيرته به، وصبره على تنفيذ الدعوة إلى الله باحتمال مشاق الدعوة، وكف النفس عما يوهن عزمه ويضعف إرادته، فمن كان بهذه المثابة كان من الأئمة الذين يهدون بأمره تعالى.

ومن المعلوم أن أصحاب محمد ﷺ أحق وأولى بهذا الوصف من أصحاب موسى عليه السلام، فهم أكمل يقيناً وأعظم صبراً من جميع الأمم، فهم أولى بمنصب هذه الإمامة، وهذا أمر ثابت بلا شك بشهادة الله لهم، وثنائه عليهم، وشهادة الرسول ﷺ لهم بأنهم خير القرون، وأنهم خيرة الله وصفوته.

ومن المحال على من هذا شأنهم أن يخطئوا كلهم الحق، ويظفر به المتأخرون، ولو كان هذا ممكناً لانقلبت الحقائق، وكان المتأخرون أئمة لهم يجب عليهم الرجوع إلى فتاويهم وأقوالهم، وهذا كما أنه محال حساً وعقلاً فهو محال شرعاً، وبالله التوفيق».

١١- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

قال ابن قيم الجوزية: «فكل من كان من المتقين وجب عليه أن يأتم بهم، والتقوى واجبة، والائتمام بهم واجب، ومخالفتهم فيما أفتوا فيه مخالف للائتمام بهم».

١٢- قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧].

قال ابن قيم الجوزية: «فالآية جعلت إيمان الصحابة ميزاناً للتفريق بين الهداية والشقاق، والحق والباطل.

فإن آمن أهل الكتاب بما آمن به الصحابة فقد اهتدوا هداية مطلقة تامة، وإن تولوا عن الإيمان بما آمن به الصحابة كمثل إيمانهم فقد سقطوا في شقاق كلي بعيد.

وعلى قدر مطابقة إيمانهم إيمان الصحابة يتحقق لهم من الهداية، وبمقدار بعدهم عن إيمان الصحابة يكون فيهم من الشقاق.

ووجه الدلالة: أن اتباع الصحابة في الإيمان هو مناط الهداية، والعاصم من الشقاق والضلال، وهو يشمل اتباعهم في اعتقادهم وأقوالهم وأعمالهم، فكلها داخلة في مسمى الإيمان عند اتباع السلف.

وطلب الهداية والإيمان أعظم الفرائض، واجتناب الشقاق والضلال من كليات الواجبات؛ فدل على أن اتباع الصحابة من أوجب الواجبات».

١٣- قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

قال ابن قيم الجوزية: «والآية قرنت بين مشاقة الرسول ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين في استحقاق الإضلال وصلي جهنم.

ومشاقة الرسول ﷺ متلازمة مع اتباع غير سبيل المومنين، كما أن اتباع سبيل المؤمنين متلازم مع اتباع الرسول ﷺ. وعلى هٰذا كثير من علماء السلف، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو أمر ظاهر؛ لأن اتباع سبيل المؤمنين ممتنع دون اتباع الرسول ﷺ، كما أن اتباع سنَّة الرسول ﷺ متعذر بمخالفة ما سلكه المؤمنون في تأويل الكتاب والسنة والتحليل والتحريم والإيجاب.

والآية مما احتج به الإمام الشافعي على الإجماع اليقيني المتحقق، وقد علمت قوله فيه، وسبيل المؤمنين أوسع من المعلوم من الدين ضرورة، مثل كون الخمر حرام، والظهر أربع، وهو يشمل كل ما كان عليه سلف هٰذه الأمة.

ووجه الدلالة: أن الآية جعلت مخالفة سبيل المؤمنين سبباً لتولي سبل الضلال وصليِّ جهنم، كما دلت على أن اتباع الرسول ﷺ وهو من أعظم أصول الإسلام مستلزماً لسلوك سبيل المؤمنين موجباً له، وسبيل المؤمنين هو أقوال وأفعال الصحابة رضي الله عنه دل على هٰذا قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، والمؤمنون آنئذٍ هم الصحابة ليس إلا».

قلت: فدل على أن اتباع سبيلهم في فهم شرع الله واجب، ومخالفته ضلال

فإن قيل: هٰذا استدلال بدليل الخطاب، وليس حجة.

قلت: هو دليل، ودونك الدليل:

أ- عن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ [النساء: ١٠١] فقد أمن الناس؟

قال عمر: عجبت فسألت رسول الله ﷺ عن ذٰلك؛ فقال: «**صَدَقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته**»[١].

لقد فهم هٰذان الصحابيان: يعلى بن أمية، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما من هٰذه الآية: أن قصر الصلاة مقيد بشرط الخوف، فإذا أمن الناس فلا بد من الإتمام، وهٰذا هو دليل الخطاب المسمى بـ «مفهوم المخالفة».

وسأل عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فأقره على فهمه، ولٰكنه بيَّن له أن ذٰلك غير معتبر هنا لأن الله تصدق عليكم؛ فأقبلوا صدقته.

ولو كان فهم عمر لا يصح لما أقره الرسول ابتداء ثم وجهه هٰذا التوجيه، ولقد قيل: التوجيه فرع القبول.

ب- عن جابر عن أم مبشر رضي الله عنهما: أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «**إني لأرجو أن لا يدخل الناس أحد إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها**»؛ فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]»[٢].

---

(١) مسلم (٦٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩٦).

لقد فهمت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أن الورود لجميع الناس، وأنه بمعنى الدخول؛ فأزال رسول الله ﷺ إشكالها بتمام الآية ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢].

فرسول الله ﷺ أقرها على فهمها ابتداء ثم وضّح لها أن الدخول المنفي غير الورود المثبت، وأن الأول خاص بالصالحين المتقين، والمراد به نفي العذاب فهم يمرون منها إلى الجنة دون أن يمسهم سوء وعذاب، وباقي الناس على خلاف ذٰلك.

فثبت ولله الحمد والمنة: أن دليل الخطاب حجة يعتمد عليه، ويعول في الفهم إليه.

ناهيك أن قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليس دليل خطاب، وإنما هو احتجاج بتقسيم عقلي؛ لأنه ليس بين اتباع سبيل المؤمنين واتباع غير سبيلهم قسم ثالث، فإذا حرم الله جل جلاله اتباع غير سبيلهم، وجب اتباع سبيلهم، وهٰذا واضح لا يشتبه.

فإن قيل: فإن بين القسمين ثالثاً وهو عدم الاتباع أصلاً.

قلت: هٰذا من أوهى ما نطقت به العقول؛ لأن عدم الاتباع أصلاً هو اتباع لسبيل غيرهم قولاً واحداً؛ لقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]؛ فثبت أنهما قسمان لا ثالث لهما.

فإن قيل: لا نسلم أن اتباع غير سبيل المؤمنين موجب لهٰذا الوعيد بل هو مع مشاقة الرسول ﷺ فلا يلزم حرمة اتباع غير سبيل المؤمنين مطلقاً بل إذا كانت مع المشاقة.

قلت: معلوم أن المشاقة محرمة بانفرادها، مستقلة بنفسها لإيجاب الوعيد عليها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:١٣]؛ فدل أن الوعيد على كل منهما بانفراده، وأن هٰذا الوصف يوجب الوعيد بمفرده، ويدل على ذٰلك أمور منها:

أ- أن اتباع غير سبيل المؤمنين لو لم يكن محرماً بانفراده لم يحرم مع المشاقة.

ب- أن اتباع غير سبيل المؤمنين لو لم يكن يدخل بانفراده في الوعيد لكان لغواً لا فائدة من ذكره؛ فثبت أن عطفه علة مستقلة كالأول.

فإن قيل: لا نسلم أن الوعيد لمن اتبع غير سبيل المؤمنين مطلقاً بل بعد ما تبين له الهدى، لأنه ذكر مشاقة الرسول ﷺ وشرط فيها تبين الهدى، ثم عطف عليه اتباع غير سبيل المؤمنين، فيجب أن يكون تبين الهدى شرطاً في الوعيد على اتباع غير سبيل المؤمنين.

قلت: قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ فلا يكون قيد الأول شرطاً للثاني، وإنما العطف لمطلق الجمع والمشاركة في الحكم، وهو قوله تعالى: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾؛ فدل على أن كلا الوصفين يوجب الوعيد بانفراده.

ويدل عليه ما يأتي:

أ- أن تبين الهدى شرط في مشاقة الرسول ﷺ لأنه من جهل هدى رسول الله ﷺ لا يوصف بالمشاقة، أما اتباع سبيل المؤمنين فهو هدى في نفسه.

ب- أن الآية خرجت مخرج التعظيم والتبجيل للمؤمنين فلو كان اتباع سبيلهم مشروطاً بتبين الهدى لم يكن اتباع سبيلهم لأجل أنه سبيلهم بل لتبين الهدى، وعندئذ فإن اتباع سبيلهم لا فائدة منه.

وبهٰذا تبين: أن اتباع سبيل المؤمنين منجاة؛ فثبت أن فهم الصحابة للدين حجة على غيرهم فمن حاد عنه فقد ابتغى عوجاً، وسلك مكاناً حرجاً؛ فحسبه جهنم وساءت مستقراً، ومصيراً، ومقاماً، ومقيلاً.

١٤- قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]

قال ابن قيم الجوزية: «فالرسول ﷺ بعث مربياً ومعلماً للكتاب وللسنة، وهٰذا من أعظم مقاصد الرسالة والنبوة، والرسول ﷺ إنما علم جيل الصحابة، ومن بعدهم تلقي العلم عن طريقهم.

وقد علم النبي ﷺ أصحابه الكتاب بنصوصه ومعانيه، وقواعده وضوابطه، كما علمهم السنة أتم تعليم وأكمله، ولم يشاركهم أحد في التلقي عن رسول الله ﷺ، ومن ثم فلا يماثلهم أحد في كمال علمهم وفهمهم؛ لأن من تلقى عن رسول الله ﷺ وتعلم على يديه ليس كمثل من تلقى عن غيره، إذ لا يمكن لأحد أن يماثل رسول الله ﷺ في البيان والتعليم.

ووجه الدلالة: أن أولى الناس بالاتباع هو أتمهم علماً وأكملهم فهماً، والصحابة هم أكمل الناس علماً، وأتمهم فهماً، فينبغي اتباعهم وتقديمهم عند الاختلاف وتعارض الفهم والحكم، قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]».

١٥- قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

قال ابن قيم الجوزية: «والرشد ضد الغي والضلال، ويأتي بمعنى الهداية، والصحابة هم الراشدون المهتدون، الذين تمت هدايتهم ورشدهم، وكمال رشدهم يتضمن تمام الهداية في القول والفعل، ومعرفة الخطأ والصواب، والحق والباطل، وهٰذا يقتضي أنهم أولى بالهداية إلى الحق من غيرهم.

ووجه الدلالة: أن من كان راشداً مهتدياً كان قوله وفتياه أقرب إلى الحق والصواب ممن لم يكن كذٰلك، وهٰذا يقتضي اتباعه، وتقديم قوله وفهمه لكما هدايته، والصحابة كذٰلك بنص الآية، فاقتضت الآية تقديم أقوالهم وفتاويهم، والله أعلم».

١٦- قال الله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

قال ابن القيم الجوزية: «والصراط المستقيم هو صراط الأنبياء قبل هٰذه الأمة، وصراط الصديقين والشهداء والصالحين منها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، فأولئك هم أهل النعمة والفضل، وصراطهم بمعزل عن أسباب الغضب وموجبات الضلال، إذ هو تام الاستقامة لا عوج فيه ولا انحراف.

وسلوك الصراط المستقيم فريضة واجبة عل كل مسلم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وإنما يكون سلوك هٰذا الصراط بأتباعه السابقين عليه في التحليل والتحريم والإيجاب، فيتبع الرسول ﷺ في هديه وسننه، ويتبع الصحابة فيما اختلف فيه الناس، وتشابه عليهم، لأنهم المبرؤون من الانحراف القائمون المستقيمون على سنّة رسول الله ﷺ.

ووجه الدلالة: أن البراءة من سبل المغضوب عليهم والضالين، في الاعتقاد والعبادة والسياسة والأخلاق والعبادات شرط للبراءة من العذاب والغضب والضلال.

وأن هٰذه البراءة تكون باتباع صراط السابقين الأدلاء على الطريق، وهم من هٰذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ، وهٰذا يقتضي اتباعهم، واقتفاء آثارهم، ولزوم هديهم».

١٧- قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال ابن قيم الجوزية: «والآية بينت أن القرآن منه آيات محكمة ظاهرة الدلالة، وهي الأصل الذي يتبع ويهتدي به، ومنه آيات متشابهة في دلالتها، تحتاج إلى بيان وتفسير من بينات القرآن والسنّة.

وأن أصحاب القلوب المريضة الزائغة عن الاستقامة يتبعون الدلالات المتشابهة قبل إحكامها طلباً لتحريفه عن معناه، وتفسيره وفق أهوائهم، وهم لا يعلمون جلية بيانه وتفسيره.

وأن الراسخين في العلم هم الذين يعرفون تفسيره وبيانه المحكم.

وهٰذا يقتضي: أن الواجب على كل أحد طلب تأويل المتشابه من أهل العلم به من الراسخين في العلم، وأن تأويله دون الرجوع إليهم إنما هو فتنة واتباع للأهواء.

والراسخون هم أصحاب رسول الله ﷺ قولاً واحداً، ويكفي في ذٰلك ما سبق من الأدلة والبراهين في مباحث هٰذه الرسالة، فاقتضى ذٰلك أن اتباع الصحابة في تأويل المتشابه فريضة تقتضيها البراءة من الفتن والأهواء، وأن مخالفتهم فيه من علامات الفتنة واتباع الأهواء، والله الموفق».

١٨- قال ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[١]

---

(١) مضى تخريجه (ص٩-١٧) وبيان تواتره.

قال ابن قيم الجوزية: «فأخبر النبي ﷺ أن خير القرون قرنه مطلقاً، وذٰلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبواب الخير، وإلا لو كانوا خيراً من بعض الوجوه فلا يكونوا خير القرون مطلقاً.

فلو جاز أن يخطىء الرجل منهم في حكم وسائرهم لم يفتوا بالصواب، وإنما ظفر بالصواب من بعدهم، وأخطأوا هم؛ لزم أن يكون ذٰلك القرن خيراً منهم من ذٰلك الوجه، لأن القرن المشتمل على الصواب خير من القرن المشتمل على الخطأ في ذٰلك الفن.

ثم هٰذا يتعدد في مسائل عديدة، لأن من يقول: إن قول الصحابي ليس بحجة؛ يجوز عنده أن يكون من بعدهم أصاب في كل مسألة قال فيها الصحابي قولاً ولم يخالفه صحابي آخر، وفات هٰذا الصواب الصحابة، ومعلوم أن هٰذا يأتي في مسائل كثيرة، تفوق العد والإحصاء، فكيف يكونون خيراً ممن بعدهم وقد امتاز القرن الذي بعدهم بالصواب فيما يفوق العد والإحصاء مما أخطأوا فيه؟

ومعلوم أن فضيلة العلم ومعرفة الصواب أكمل الفضائل وأشرفها، فيا سبحان الله أية وصمة أعظم من أن يكون الصدّيق أو الفاروق أو عثمان أو علي أو ابن مسعود أو سلمان الفارسي أو عبادة بن الصامت وأضرابهم رضي الله عنهم قد أخبر عن حكم الله أنه كيت وكيت في مسائل كثيرة؛ وأخطأ في ذٰلك؛ ولم يشتمل قرنهم على ناطق بالصواب في تلك المسائل حتى تبع من بعدهم فعرفوا حكم الله الذي جهله أولئك السادة، وأصابوا الحق الذي أخطأه أولئل الأئمة؟ سبحانك هٰذا بهتان عظيم».

قلت: هل الخيرية المثبتة لجيل الصحابة في ألوانهم أو أجسامهم أو أموالهم ؟ لا يشك عاقل عَقِل الكتاب والسنة أن شيئاً من ذٰلك غير مقصود؛ لأن الخيرية في الإسلام مقياسها تقوى القلوب والعمل الصالح؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولٰكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[١].

ولقد نظر الله إلى قلوب صحابة رسول الله ﷺ فوجدها خير قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فآتاهم فهماً لا يدركه اللاحقون، ولذٰلك فما رآه الصحابة حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه الصحابة سيئاً فهو عند الله سيئ.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر إلى قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه؛ فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيىء»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) (٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩)، والطيالسي في «مسنده» (ص٢٣)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٦٦) وإسناده جيد موقوفاً.

وقد اشتهرت الجملة الأخيرة منه بأنها مرفوعة، ولا يصح ذٰلك؛ كما نص على ذٰلك أئمة الصنعة، وإنما هي من قول عبد الله بن مسعود.

وكذٰلك استدل بها محسنو البدع على تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، وقد فندت ذٰلك كله في رسالتي «البدعة وأثرها السيىء على الأمة» (ص٢١-٢٢)؛ فلتنظر.

عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي هل عندكم كتاب؟

قال: «لا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هٰذه الصحيفة»[١].

قلت: فما في هٰذه الصحيفة؟

قال: «العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر»[٢].

وبذٰلك يكون فهم الصحابة للكتاب والسنة حجة على من بعدهم إلى آخر هٰذه الأمة، ولذٰلك فهم شهداء الله في الأرض.

١٩- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، فجلسنا، فخرج علينا فقال: **«ما زلتم هنا؟»**.

---

(١) هٰذا النص الصريح من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يدمغ باطل الشيعة الروافض الذين انتسبوا إلى آل البيت النبوي ظلماً وتدليساً حيث زعموا أن لدى العترة كتاباً يعادل القرآن الذي بين أيدينا ثلاث مرات، وسموه «مصحف فاطمة»؛ لأن هٰذه الصحيفة التي أشار إليها علي رضي الله عنه إنما هي سنن من هدي رسول الله ﷺ، وفي هٰذا تنبيه لكل نبيه أن القرآن لا يفهم إلا بسنة رسول الله ﷺ، وكذٰلك بفهم صحابة رسول الله ﷺ.

قال الحافظ في «فتح الباري» (١/ ٢٠٤): «وإنما سأله أبو جحيفة عن ذٰلك؛ لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت -لا سيما علياً- أشياء من الوحي خصهم النبي ﷺ بها لم يطلع غيرهم عليها، وقد سأل علياً عن هٰذه المسألة أيضاً قيس بن عباد والأشتر النخعي وحديثهما في مسند النسائي».

وانظر لزاماً «بغية المرتاد» لشيخ الإسلام (ص٣٢١-٣٢٢)؛ ففيه كلام نفيس.

(٢) أخرجه البخاري (١١١).

قلنا: يا رسول الله صلينا معك ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء.

قال: «أحسنتم أو أصبتم».

قال: ثم رفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء.

فقال: **«النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء أمرها، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»**(١).

لقد جعل رسول الله ﷺ نسبة أصحابه رضي الله عنهم إلى من بعدهم في الأمة الإسلامية كنسبته إلى أصحابه، وكنسبة النجوم الى السماء.

ومن المعلوم: أن هٰذا التشبيه النبوي يعطي في وجوب اتباع فهم أصحاب الرسول ﷺ للدين نظير رجوع الأمة إلى نبيها ﷺ؛ فإنه ﷺ المُبيِّن للقرآن، وأصحابه رضوان الله عليهم ناقلو بيانه للأمة.

وكذٰلك رسول الله معصوم لا ينطق عن الهوى، وإنما يصدر عنه الرشاد والهدى، وأصحابه عدول لا ينطقون إلا صدقاً، ولا يعملون إلا حقاً.

وكذٰلك النجوم جعلها الله رجوماً للشياطين في استراق السمع؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٦-١٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وكذلك الصحابة رضي الله عنهم زينة هذه الأمة كانوا رصداً لتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين الذين جعلوا القرآن عضين، واتبعوا أهواءهم؛ فتفرقوا ذات اليمين وذات الشمال؛ فكانوا عزين.

وكذلك فإن النجوم منار لأهل الأرض ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وقال جل شأنه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وكذلك الصحابة يقتدى بهم للنجاة من ظلمات الشهوات والشبهات، ومن أعرض عن فهمهم فهو في غيه يتردى في ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها.

وبفهم الصحابة نحصن الكتاب والسنة من بدع شياطين الإنس والجن الذين يبتغون الفتنة ويبتغون تأويلهما ليفسدوا مراد الله ورسوله فيهما، فكان فهم الصحابة رضي الله عنهم حرزاً من الشر وأسبابه، ولو كان فهمهم لا يحتج به لكان فهم من بعدهم أمنة للصحابة وحرزاً لهم، وهذا محال.

٢٠- عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة؛ ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب؛ فقال قائل: يا رسول الله: كأنها موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «عليكم بالسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[١].

---

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٣ و٤٤)، والدارمي (١/ ٤٤-٤٥)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٥-٩٦) و«المدخل إلى الصحيح» (١/ ١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٤) و«الاعتقاد» (ص٢٢٩-٢٣٠) و«مناقب الشافعي» (١/ ١٠-١١)، وابن حبان (٥)، وابن أبي عاصم (٢٧ و٣٢ و٥٤ و٥٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٢)، والآجري في«الشريعة» (٧٠ و٧١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١١٨٧) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٨١٨) و«مسند الشاميين» (٤٣٧ و٤٣٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٢٢٢ و٢٢٤) وغيرهم من طريق عبد الرحمٰن بن عمرو السلمي عنه به.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات معروفون غير عبد الرحمٰن بن عمرو السلمي؛ فقد وثقه ابن حجر في «موافقه الخبر الخبر» (١/ ١٣٧)، وقال الذهبي في «الكاشف» (٢/ ١٥٨): «صدوق»، وذكره ابن حبان في «الثقات» وروى عنه جمع من الثقات، وصحح له الترمذي وابن حبان والحاكم.

ولم ينفرد بل تابعه جماعه.

١- حجر بن حجر عند أبي داود وابن حبان وابن أبي عاصم والآجري وغيرهم وهو تابعي لم يرو عنه إلا خالد بن معدان وذكره بن حبان في «الثقات».

٢- يحيى بن أبي المطاع قال: سمعت العرباض، وذكره نحوه.

أخرجه ابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ٩٧)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٦٢٢) و«مسند الشاميين» (٧٨٦)، وابن أبي عاصم في «السنه» (٥٥ و١٠٣٨).

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات إلا أن دحيماً أشار إلى أن رواية يحيى بن أبي المطاع عن العرباض مرسلة.

قلت: وقد صرح بالسماع عن العرباض، والسند إليه صحيح، وهٰذا الذي اعتمده الإمام البخاري؛ فقال في «التأريخ الكبير» (٨/ ٣٠٦) «سمع عرباض بن سارية».

. . . .

= ٣- المهاصر بن حبيب عنه: أخرجه ابن أبي عاصم (٢٨ و٢٩ و٥٩ و١٠٤٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٦٢٣) «ومسند الشاميين» (٦٩٧).

قلت: إسناده صحيح، وصححه شيخنا في «الصحيحة» (٢٧٣٥).

٤- عبد الله بن أبي بلال عنه: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧) وغيره وسنده حسن في الشواهد.

قلت: وبهٰذا يتبين: أن الحديث صحيح لا علة فيه، ولذٰلك اتفق الحفاظ على تصحيحه، منهم:

١- الضياء المقدسي في جزء «اتباع السنن واجتناب البدع» (ق ٧٩/ ١).

٢- الهروي في «ذم الكلام» (٦٩/ ١-٢) وقال: «هٰذا أجود حديث في أهل الشام».

٣- البغوي في «شرح السنة» (١٠٢) وقال: «هٰذا حديث حسن».

٤- ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٥٨) فقال: «وقد روي عن النبي ﷺ بإسناد صحيح»، وساقه بإسناده (٢٣٠٦) عن أحمد بن عمرو البزار: «حديث عرباض بن سارية في الخلفاء الراشدين هٰذا حديث ثابت صحيح» ثم قال: «هو كما قاله البزاز رحمه الله حديث عرباض حديث ثابت».

٥- أبو نعيم؛ كما قال الزركشي في «المعتبر» (ص٧٨)، وابن كثير في «تحفة الطالب» (٤٦)، ونقل شيخنا في «الصحيحة» (٩٣٧) عنه قوله: «حديث جيد من صحيح حديث الشاميين».

٦- الحافظ محمد بن عبد الرحمٰن الدغولي؛ كما في «المعتبر» (ص٧٨)، و«تحفة الطالب» (ص١٦٣)، و«موافقة الخبر الخبر» (١/ ١٣٩).

٧- الحافظ ابن قيم الجوزية قال في «إعلام الموقعين» (٤/ ١٤٠): «وهٰذا حديث حسن، لا بأس بإسناده».

٨- الحافظ ابن رجب الحنبلي قال في «جامع العلوم والحكم» (ص٣٩١ المنتقى): بعد تصحيحه «وقد روي عن العرباض من وجوه أخر».

٩- الحافظ ابن كثير في «تحفة الطالب» (٤٦).

١٠- الحافظ الزركشي في «المعتبر» (٣٠). =

. . . .

= ١١- الحافظ ابن حجر في «موافقه الخبر الخبر» (١/ ١٣٧) وقال: «هٰذا حديث صحيح رجاله ثقات، قد جوّد الوليد بن مسلم إسناده؛ فصرح بالتحديث في جميعه، ولم ينفرد».

١٢- أبو اسماعيل الأنصاري؛ كما في «موافقه الخبر الخبر» (١/ ١٣٠) بقوله: «هو من أجود حديث أهل الشام».

١٣- شيخنا الألباني محدث العصر في «إرواء الغليل» (٢٤٥٥)، و«الصحيحة» (٩٣٧)، وقال في الاستدراك (١٢) (ص٧١٨): «ويلحق بهؤلاء المصححين كل من احتج به أو شرحه، وهم جمع غفير لا يمكن حصرهم، منهم: الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه»، والخطابي في «معالم السنن»، وابن تيمية في «فتاويه»، والشاطبي في «اعتصامه» وغيرهم كثير وكثير جداً.

يضاف الى إجماع هؤلاء الحفاظ والأئمة على تصحيحه أنه جاء من وجوه أخرى؛ كما قال الشاطبي وابن رجب الحنبلي».

ورد حفظه الله في «الصحيحة» (٢٧٣٥) على بعض جهلة أهل زماننا ممن ركب الصعب والذلول في تضعيف الحديث وبين تناقضه واضطرابه ومخالفته لأهل العلم قديماً وحديثاً فلا يلتفت لمثله ولا يأبه لحاله.

وقد زعم هٰذا المتهوك أن جملة: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» لا شاهد لها؛ كما صرح في آخر كتيبه الذي سماه «حوار مع الشيخ الألباني» وقد فرح هو وأصحابه بذٰلك حتى إن بعضهم صرح لبعض جلسائه؛ فقال: لقد هدمنا رأس مال السلفيين؛ يعني: أن السلفيين يدندنون حول هٰذه الجملة كثيراً، وتناسى هٰذا المأفون المفتون: أن كل حرف في الإسلام يشهد لصحة المنهج السلفي؛ لأنه الإسلام نفسه.

قلت: لأنه لا يفقه معنى الشاهد، وإلا فقد ورد لهٰذه الفقره شاهد كما بينته في رسالتي: «درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب» (ص٤٥-٤٧)، وبينت أن الحافظ ابن حبان سبق إلى ذٰلك.

قال مقيده أبو أسامة الهلالي عفا الله عنه: بل شواهد فإن كل دليل في هٰذا الباب يشهد لهٰذه الجملة، فتدبر.

قال ابن قيم الجوزية: «وقد قرن رسول الله ﷺ سنة أصحابه بسنته، وأمر باتباعها، كما أمر باتباع سنته، وبالغ في الأمر بها، حتى أمر بأن يعض عليها بالنواجذ، وهٰذا يتناول ما أفتوا به، وسنّوه للأمة، وإن لم يتقدم من نبيهم فيه شيء، وإلا كان ذٰلك سنته.

ويتناول ما أفتىٰ به جميعهم، أو أكثرهم، أو بعضهم، لأنه علّق ذٰلك بما سنَّه الخلفاء الراشدون، ومعلوم أنهم لم يسنوا ذٰلك وهم خلفاء في آن واحد، فعلم أن سنَّة كل واحد منهم في وقته من سنة الخلفاء الراشدين».

قلت: هٰذا الحديث صاعقة على رؤوس المبتدعة المخالفين لمنهج السلف، لأنه يدل على حجيته من وجوه:

أ- قرن رسول الله ﷺ سنة الخلفاء الراشدين وهي فهم السلف، مع سنته؛ فدل على أن الإسلام لا يفهم إلا بمنهج السلف.

ب- أنه جعل سنة الخلفاء الراشدين سنته؛ فقال: «عضوا عليها» ولم يقل: «عضوا عليهما»؛ فتبين أن سنة الخلفاء الراشدين من سنته.

ت- أنه قابل ذلك كله بالتحذير من البدع؛ فدل على أن كل مخالف لمنهج السلف واقع في البدع وإن لم يشعر.

ث- أنه جعل ذلك مخرج من الاختلاف والابتداع؛ فمن تمسك بسنة رسول الله وسنة خلفائه الراشدين كان من الفرقة الناجية يوم القيامة؛ كما صرح ابن حبان عقب حديث العرباض رضي الله عنه فقال: «في قوله ﷺ: «فعليكم بسنتي» عند ذٰلك الاختلاف الذي يكون في أمته بيان واضح أن من واظب على السنة، ولم يعرج على غيرها من الآراء من الفرق الناجية في القيامة، جعلنا الله منهم بمنّه».

جـ- أنه لم يدخل سنته وسنة الخلفاء الراشدين في الاختلاف الكثير؛ فدل على أنها جميعاً من عند الله؛ لأن الاختلاف الكثير ليس من عند الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

من هٰذه الوجوه مجتمعة يتبين: أن سبيل النجاة من الاختلاف والافتراق وطوق الحياة من مضلات الهوى ومعضلات الشبهات والشهوات -التي تحيل من اتبعها عن المحجة البيضاء- ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من فهم لسنة رسول الله ﷺ؛ فإنهم أخذوا منها بحظ وافر، وحازوا قصبات السباق، واستولوا على الأمد، فلا مطمع لأحد من الأمة بعدهم في اللحاق بهم فإنهم على هدىً وقفوا، وبعلم قد كفوا، وببصر ثاقب نظروا، والسعيد من اتبع صراطهم السوي، والشقي من زاغ ذات اليمين وذات الشمال وسلك سبل الغي، والتائه الحائر في ميدان المهالك والضلال يظن سراب الأهواء ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الشيطان عنده فاستحوذ عليه، نعوذ بالله من الخذلان.

فقل لي بربك: أي خصلة خير لم يسبقوا اليها؟ وأي خطة رشد لم يستولوا عليها؛ والذي نفسي بيده لقد نهلوا الحق من معينه عذباً زلالاً؛ فأيدوا قواعد الإسلام فلم يتركوا لأحد مقالاً، وألقوا إلى التابعين بإحسان ما ورثوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً، وكان سندهم فيه: نبيهم ﷺ عن جبريل عن رب العزة سنداً عالياً.

لقد كانت سنة رسول الله ﷺ أجل في صدورهم، وأعظم في نفوسهم أن يقدموا عليها هوى، أو أن يخلطوها برأي مشوب، كيف وقد عادوا ووالوا عليها؟

فإذا دعاهم رسول الله ﷺ إلى أمر طاروا إليه زرافات ووحداناً، وحملوا أنفسهم عليها فلا يسألوه عما قال برهاناً.

لذلك فهم أولى الناس برسولهم ﷺ وسنته فهماً وعملاً ودعوة، وأن على من بعدهم: أن يتمسك بمنهجهم؛ ليكون موصولاً برسول الله ﷺ ودين الله، وإلا فهو كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

٢١- عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني؛ فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمٰن الحميري حاجّين أو معتمرين؛ فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هٰؤلاء في القدر...» الحديث[1].

ووجه الدلالة: أن هٰؤلاء التابعين رجعوا في معرفة حقيقة مقالة معبد الجهني وأصحابه إلى فهم الصحابة ومنهجهم؛ فدل على أن التابعين يرون حجية منهج الصحابة، وأن المحدثات بعدهم يجب عن تعرض على منهجهم وفهمهم؛ لأنه المعيار في قبول ذٰلك أو ردّه.

٢٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثمّ إنها تخلف من بعدهم خلوف: يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذٰلك من الإيمان حبة خردل**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه مسلم (٥٠).

ووجه الدلالة: أن رسول الله ﷺ وصف أصحاب النبي بأنهم يقتدون بأمره ويأخذون بسنته، ومن كان كذٰلك فوجب الاقتداء به؛ لأنه السبيل إلى الاقتداء بالرسول ﷺ.

وأما الخلوف فهي مخالفة للأمر والسنة فلا يقتدى بها ولا يعول عليها؛ لأنها خالفة مخالفة، فتبين أن فهم الصحابة الأبرار والتابعين الأخيار هو المعيار.

٢٣- ورد في أحاديث الخوارج[١] قوله ﷺ: **«تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم»**.

ووجه الدلالة: أن الرسول ﷺ قارن صلاة الخوارج وصيامهم مع صلاة الصحابة وصيامهم، ولما كان الخوارج على غير منهج الصحابة وقد تواترت الأحاديث بذمهم والتحذير منهم تبين أن منهج الصحابة هو الحق الذي لا مرية فيه؛ فمن تمسك به كان على صراط مستقيم ومن خالفه تفرقت به السبل عن البيضاء النقية.

وهٰذا يدل على أن رسول الله ﷺ جعل فهم الصحابة رضي الله عنهم وعملهم ميزاناً لوزن أفهام وأعمال من بعدهم؛ فمن وافقهم فقد نجا وإلا فلا يلومن إلا نفسه.

٢٤- قال رسول الله ﷺ: **«لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»**[٢].

---

(١) متواترة؛ كما بينتها في مصنف مستقل يسر الله نشره بخير وسلامة.

(٢) صحيح - أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨ و٤٩) من طريقين عن العرباض بن سارية رضي الله عنه بهٰذا اللفظ.
=

قال ابن قيم الجوزية: «فالنبي ﷺ ترك أصحابه على ملة قويمة مستقرة، ومحجة بيضاء ناصعة، لا خفاء فيها، ولا لبس، ولا إبهام، لا عذر لمن انحرف عنه؛ لأن الحجة قامت عليه وبلغته.

وذٰلك من خصوصيات الصحابة، لأنهم هم دون غيرهم الآخذون المتلقون المبلغون، والناس تبع لهم في العلم بهٰذا البيان الناصع، وعالة عليهم في ذٰلك، لأن هٰذا أمر لم يتفق لغيرهم أصالة.

فكل ما خفي وأشكل واشتبه؛ فبيانه وجلاؤه في علم أصحاب رسول الله ﷺ: معتقدهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وكل دينهم، جهله من جهله، وعلمه من علمه.

وهٰذا قاض بوجوب العودة إلى علمهم عند كل إشكال ولبس واختلاف».

٢٥- قال رسول الله ﷺ في حديث الافتراق: **«وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة: ما أنا عليه وأصحابي»**[١].

= وهو جزء من حديث العرباض المشهور المتقدم تخريجه (ص٦٧-٦٩).

وله شاهد من حديث أبي الدرداء: أخرجه ابن ماجه (٥)، وابن أبي عاصم (٤٧) بإسناد يعتبر به.

قلت: بالجملة؛ فالحديث صحيح ثابت.

(١) حسن -أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/١٢٨-١٢٩)، وابن وضاح القرطبي في «البدع والنهي عن عنها» (ص١٥-١٦)، والآجري في «الشريعة» (١٦) و«الأربعين» (ص٥٣-٥٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٦٢)، وابن نصر المروزي في «السنة» (ص١٨)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٤٧)، =

قال ابن قيم الجوزية: «والحديث يبين وقوع الافتراق في الملة بعده ﷺ، وأنه يكون على ثلاث وسبعين ملة، وأن الفرق الممتلّة بهٰذه الملل كلها إلى النار، وأنها تنجو فرقة واحدة، رغم انتسابها جميعها إلى الإسلام؛ هي: من كان على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

وهٰذا يدلك على أن فيصل التفريق بين الحق والباطل إنما هو اتباع الصحابة فيما كانوا عليه؛ لأن كل الفرق المنحرفة تنتسب إلى السنة، ولا تجرؤ على التبرؤ منها.

فاتباع ما عليه الصحابة زمن النبوة، وما تركهم عليه رسول الله ﷺ هو مناط النجاة والهداية، وخلافه من سبل الفرق الهالكة، التي هي تحت الوعيد بمخالفتها منهج الصحابة.

= وعبد القاهر البغدادي في «الفرق بين الفرق» (ص٦)، وقوام السنة الأصبهاني في «الحجة» (١/ ١٠٧)، وابن بطه في «الإبانة» (١، ٢٦٥) وغيرهم من طرق عن عبد الرحمٰن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً.

قلت: إسناده ضعيف؛ لأن عبد الرحمٰن بن زياد هو الإفريقي ضعيف من قبل حفظه، لٰكن له شاهد تام من حديث أنس: أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٥٦) و«الأوسط» (٢٦٢- مجمع البحرين)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٦٢)، وبحشل في «تاريخ واسط» (ص١٩٦) من طريق عبد الله بن سفيان الخزاعي الواسطي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن أنس مرفوعاً.

قلت؛ فيه عبد الله بن سفيان قال العقيلي: «لا يتابع على حديثه»، وأقره الذهبي في «الميزان» (٢/ ٤٣٠).

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٩): «فيه عبد الله بن سفيان قال العقيلي: «لا يتابع على حديثه»، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات».

وبالجملة: فالحديث حسن بذٰلك.

ولمفرداته شواهد كثيرة ذكرتها في «درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب»؛ فانظره غير مأمور.

ولا بد أن يكون الوصف المؤثر في هلاك تلك الفرق، والذي تعلق به وقوعهم تحت الوعيد هو مخالفة هدى الصحابة؛ ما دام أن الوصف الوحيد المؤثر في النجاة -كما ذكر الحديث- موافقة منهاج النبوة، وسبيل المؤمنين الذي كان عليه الصحابة.

وهٰذا يقتضي أن اتباع منهج الصحابة وما كانوا عليه، مما تلقوه من كتاب الله وسنَّة نبيه ﷺ واجب يهلك بتركه الهالكون، ويسعد بأخذه الفائزون، وهو اتباع أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم في التدين كله»

٢٦- وقد جاء في حديث الافتراق وصف رسول الله ﷺ الفرقة الناجية بأنها: «الجماعة»[1].

قال ابن قيم الجوزية: «وفي نصوص القرآن والسنة نصوص كثيرة في الحض على الجماعة والأمر بها.

وهٰذا اللفظ النبوي يفيد أن الجماعة هم أصحابه رضي الله عنهم؛ لأنه لم تكن آنذاك جماعة غير أصحاب رسول الله ﷺ.

ومعنى لزوم الجماعة: لزوم أقوالهم في التحليل والتحريم وعدم الخروج عليها.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين، وقد وجدت الأبدان تكون مجتمعة

---

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله (ص٩١-٩٢ و ٩٢).

من المسلمين والكافرين، والأتقياء والفجار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنى، لأنه لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئاً، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليهم جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما، ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها، وإنما تكون الغفلة في الفرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها غفلة عن معنى كتاب ولا سنّة ولا قياس إن شاء الله».

فلزوم الجماعة هنا هو لزوم أقوال الصحابة في التحليل والتحريم؛ لأن هٰذا هو معنى لزوم الجماعة؛ كما بيّنه الإمام الشافعي.

والجماعة هم جماعة الصحابة كما أفاد حديث الافتراق؛ فاقتضى وجوب لزوم أقوالهم في التحليل والتحريم والإيجاب، واتباعهم فيها؛ لأن الغفلة في الفرقة فأما الجماعة فلا يمكن فيها غفلة عن معنى كتاب ولا سنة ولا قياس إن شاء الله؛ كما قال الإمام الشافعي رحمه الله، والله المستعان».

٢٧- وبالجملة؛ فوجوب فهم الإسلام بفهم الصحابة ومن تبعهم ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

قال ابن قيم الجوزية: «إنه لم يزل أهل العلم في كل عصر مجمعون على الاحتجاج بما هٰذا سبيله من فتاوى الصحابة وأقوالهم، ولا ينكره منكر منهم، وتصانيف العلماء شاهدة بذٰلك، ومناظراتهم ناطقة بهم.

قال بعض علماء المالكية: أهل الأعصار مجمعون على الاحتجاج بما هٰذا سبيله، وذٰلك مشهور في رواياتهم وكتبهم ومناظراتهم واستدلالاتهم، ويمتنع والحالة هٰذه إطباق هؤلاء كلهم على الاحتجاج بما لم يشرع الله ورسوله الاحتجاج به، ولا نصبه دليلاً للأمة، فأي كتاب شئت من كتب السلف والخلف المتضمنة للحكم والدليل وجدت فيه الاستدلال بأقوال الصحابة، ووجدت ذٰلك طرازها وزينتها، ولم تجد فتياً قط ليس قول أبي بكر وعمر حجة، ولا يحتج بأقوال أصحاب رسول الله ﷺ وفتاويهم، ولا ما يدل على ذٰلك، وكيف يطيب قلب عالم يقدم على أقوال من وافق ربه تعالى في غير حكم، فقال وأفتىٰ بحضرة رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بموافقة ما قال لفظاً ومعنىٰ قول متأخر بعده ليس له هٰذه الرتبة، ولا يدانيها؟

وكيف يظن أحد أن الظن المستفاد من فتاوىٰ السابقين الأولين الذين شاهدوا الوحي والتنزيل؛ وعرفوا التأويل؛ وكان الوحي ينزل خلال بيوتهم، وينزل على رسول الله ﷺ وهو بين أظهرهم؟

قال جابر: «والقرآن ينزل على رسول الله ﷺ وهو يعرف تأويله، فما عمل به من شيء عملنا به» في حجة الوداع، فمستندهم في معرفة مراد كلام الرب تعالى من كلامه ما يشاهدونه من فعل رسوله وهديه الذي هو يفصل القرآن ويفسره، فكيف يكون أحد من الأمة بعدهم أولى بالصواب منهم في شيء من الأشياء؟ هٰذا عين المحال».

الباب الخامس

خصائص منهج السلف

١- وضوح المنهج وعلانية الدعوة.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقد تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»**[١].

منهج السلف قويم لا عوج فيه، جلي لا لبس يخفيه، واضح لا إبهام يعتريه، مشاهد مُعيَّن يحصل به الإدراك التام للعقل حتى يصير لديه كوضوح الأمر المشاهد بالبصر.

وهٰذا شأن منهج الصدق ودعوة الحق، فلا تجد تلبيساً، ولا ترى تدليساً، ولا تبصر إدعاءً مجرداً فلا ترى شيئاً من التواء أو تناقض أو اضطراب.

وهٰذا بخلاف دعوات الكذب المخالفة الخالفة؛ فإنها تلقي الدعاوى مجردة، وتحاول تدعيمها بكل تمويه تصل إليه؛ فلا تزال لذٰلك في حنايا وتعاريج الحزبية ودهاليز السِّرية ولا تزداد إلا بعداً عن الصراط المستقيم.

---

(١) مضى تخريجه (ص ٧٣-٧٤).

ومن تأمل قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ الآية يجد كل كلمة فيها تدل على وضوح الدعوة وعلانيتها:

فـ ﴿قُلۡ﴾ كلمة عجيبة تبطل كل الدعاوى المنحرفة عن الصراط المستقيم أو المشككة في المنهج القويم؛ لأنها دالة على أنها ليست من كلام البشر؛ لأن البشر لا يأمر نفسه؛ ولذلك فرسول الله ﷺ يبلغ كلاماً لا يمكن أن يكون من تلقاء نفسه.

وعجيبة أخرى لتلك الكلمة: أنها في صلب الرسالة المأمور رسول الله ﷺ بتبليغها، والدعوة إليها، وإعلانها على رؤوس الأشهاد، ولذلك فهي تدل على أن النبي ﷺ وأتباعه لا يتخفون بدعوتهم، ولا يستترون بمنهجهم، ولا ينقصون حرفاً، ولا يتصرفون أي تصرف من تلقاء أنفسهم.

و ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ أمر ببيان سبيله بياناً عاماً شافياً للناس لتتضح المحجة للمهتدين، وتقوم الحجة على الهالكين.

وهذا البيان الواضح يصيرها مشاهدة بالبصر، ويجعلها مُعيَّنة يشار إليها كسائر المشاهدات ثلاثية الأبعاد:

الأول: الدعوة إلى الله على بصيرة.

الثاني: تنزيه الله.

الثالث: البراءه من الشرك وأهله.

فأما البعد الأول؛ فهو: فرقان بين الصادق والكاذب؛ فالصادق لا يتحدث عن نفسه، ولا يطلب لها مالاً، ولا يجلب لها جاهاً، ولا يبغي من الناس ذكراً أو فخراً؛ لأنه يدعو إلى الله، وهو يتوكأ على الحجة والبرهان؛ لأنه على بصيرة.

وتأمل قوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ كيف تعلقت بقوله: ﴿أَدْعُوٓا۟﴾ لتدل على تمام التمكن وحق اليقين.

وأما البعد الثاني؛ فتنزيه الله سبحانه مقصد الرسالات، ولذٰلك فهو أعظم وجوه الدعوة وألزمها ولا يتم تنزيه الله سبحانه إلا بمنهج واضح ودعوة جهرية تنسف كل المعتقدات الباطلة في ذات الله تبارك وتعالى، وتدحض كل الآراء العاطلة في صفاته سبحانه وتعالى.

وأما البعد الثالث؛ فهو البراءة من المشركين، والمباينة من الزائغين، ولا تتم البراءة ولا تتأكد المباينة إلا بالصدع بأمر الله بوضوح وعلانية دون تعميم أو تعتيم.

ومن أعطى هٰذه الآية حقها من التأمل أفضى إلى بيضاء نقية، ليس فيها تقية، شمسها بازغة، وحجتها بالغة، وهي بريئة من كل دعوة زائغة؛ فالحمد لله على هٰذه النعمة السابغة.

٢- سبيل واحد وصراط مستقيم:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم قال: «هٰذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هٰذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[(١)].

---

(١) صحيح - أخرجه النسائي في «التفسير» (١٨٤)، وأحمد (١/ ٤٣٥ و٤٦٥) واللفظ له، والدارمي (١/ ٦٧-٦٨)، والطبري في «جامع البيان» (٨/ ٦٥)، والبزار (٢٤١٠)، وابن حبان (٦و٧)، والحاكم (٢/ ٣١٨)، وابن أبي عاصم في «السنه» (١٧)، وابن نصر في «السنة» (١١)، والطيالسي (٢٤٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٩٧) و«معالم التنزيل» (٢/ ١٤٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٣) وغيرهم من طريق عاصم عن أبي وائل عنه به.

قلت: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عاصم وهو ابن بهدله بن أبي النجود، وهو حسن الحديث.

وتابعه الأعمش عن أبي وائل: أخرجه البزار (٢٢١١).

وله طرق أخرى كما قال البزار: «قد روى عن عبد الله نحوه أو قريباً منه من وجوه»

قلت: وإليك هٰذه الطرق:

الأولى- طريق منذر الثوري عن الربيع عن عبد الله بن مسعود فذكر نحوه: أخرجه البزار (٢٢١٢)

الثانية- طريق زر بن حبيش: أخرجه النسائي في «تفسيره» (١٩٥)، وابن نصر في «السنه» (١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٣٩)، وابن مردويه كما في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٩٨).

وله شواهد منها:

حديث جابر بن عبد الله: أخرجه ابن ماجه (١١)، وأحمد (٣/ ٣٩٧)، وعبد بن حميد (١١٣٩)، وابن نصر في «السنة» (١٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٦).

وزاد نسبته ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٩٨) للبزار وابن مردويه.

وزاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٥) لابن أبي حاتم.

كلهم من طريق أبي خالد الأحمر عن مجالد عن الشعبي عن جابر نحوه.

قلت: إسناده ضعيف؛ رجاله ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد وهو ضعيف.

=

«كان المسلمون عند وفاة رسول الله ﷺ على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه، غير من أظهر وفاقاً وأضمر نفاقاً»[١].

واستمر حالهم حتى أواخر سني خلافة النبوة لا تنازع بينهم، ثم حدث الافتراق والاختلاف الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وحذر منه رسول الله ﷺ كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنه أقبل مع رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه من العالية، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية؛ دخل، فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً، ثم إنصرف إلينا فقال: **«سألت ربي ثلاثاً؛ فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسَّنَةِ[٢] فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»**[٣].

= وخالف حفص بن غياث أبا خالد الأحمر؛ فرواه عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس نحوه؛ فجعله من مسند ابن عباس: أخرجه ابن نصر المروزي في «السنة» (١٤).

وبالجملة؛ فالحديث صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه وعليه العمدة؛ كما قال ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢/١٩٨): «ولكن العمدة على حديث ابن مسعود»، وحديث جابر يزيده قوة لا شك في ذلك، والاختلاف الذي وقع فيه لا يؤثر على الاعتبار به، والله أعلم.

(١) «الفرق بين الفرق» (ص١٤).

(٢) القحط والجدب.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٠).

ومنذ ذلك الوقت صارت الجماعة جماعات، والأمة شيعاً؛ كما حدث في الأمم الخالية: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

وذلك أن الدين لله كله حصل به الائتلاف والوفاق؛ لأنه يجمع كل حق، وعليه يجتمع كل حق ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وإذا لم يكن كذلك فلا بد أن يكون لكل قوم ما يمتازون به، ويشدون وسطهم عليه مثل معظم مطاع قلدوه، أو رأى استحسنوه، أو دين لم يأذن الله به ولم يشرعه ابتدعوه: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٢، ٥٣].

ولذلك انشئت الكتل، وكونت الأحزاب، وأسست الجماعات، وأحدثت التجمعات والجمعيات؛ لتلم شعث الأمة، وتوحد شملها، ولكن الأمة لم تزدد إلا تفرقاً وافتراقاً واختلافاً ومن هدفها بعداً؛ لسببين رئيسين:

الأول: أن هذا التفريق الحزبي هو المشكلة، فمن أراد توحيد الأمة بواسطة الجماعات والأحزاب فهو يردد قول القائل: فداوني بالتي كانت هي الداء.

الآخر: أن هذه الجماعات والأحزاب نسيت أو تناست أن سبب الاختلاف هو غياب وحدة المنهج والعقيدة؛ فلذلك باءت جميع محاولات توحيد الصف بالفشل الذريع، والتحلل السريع.

ولكن بنيات الطريق لا يمكن أن تمحي معالم الطريق وتخفي رسومها فقد استمرت دعوة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة على منهاج النبوة لا تخالفها باسم أو برسم، ولا حقيقة ولا شكل.

قال ابن قيم الجوزية: «ولم ينسبوا إلى اسم، أي: لم يشتهروا باسم فيعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق.

وأيضاً؛ فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد، يجري عليه اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هٰذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة: فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي.

بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول.

وعن طريقه؟ قال: الاتِّباع.

وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى.

وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة.

وعن مقصوده ومطلبه؟ قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وعن رباطه وعن خانكاه[1] ؟ قال: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

---

(١) رباط الصوفية؛ أي: زوايا الصوفية.

وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

وعن مأكله ومشربه؟ قال: مالك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء، وترعى الشجر حتى تلقى ربها.

واحسرتاه تقضي العمر وانصرمت ... ساعاته بين ذل العجز والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ... ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

ثم قال:

وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟

فقال: ما لا اسم له سوى السنة.

يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها.

فمن الناس من يتقيد بلباس لا يلبس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشية لا يمشي غيرها، أو بزي وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد غيرها، وإن كان أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه.

فهٰؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصددون عنه، قيدتهم العوائد والرسوم، والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزل، ومنزلتهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة،

وتفريغ القلب، ويَعُدُّ العلم قاطعاً له عن الطريق، فإذا ذكر له الموالاة في الله، والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: عد ذٰلك فضولاً وشراً، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذٰلك؛ أخرجوه من بينهم، وَعَدّوه غَيْراً عليهم، فهٰؤلاء أبعد الناس عن الله، وإن كانوا أكثر إشارة، والله أعلم» أ. هـ[1].

إنها الحزبية التي نهشت بأنيابها الجسم المؤمن فمزقته أيادي سبا، وصار كل حزب بما لديهم فرحون، قد نصب له شخصاً غير النبي ﷺ يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليه، وكتب كلاماً غير الكتاب والسنة يتوكأ عليه، فإذا كشفت النقاب عن الأحزاب وجدت هوى متبعاً، وشحاً مطاعاً، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي راي برأيه، ولذٰلك «فالإسلام الحقيقي غريب جداً وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس.

وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جداً، غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة، ذات اتباع ورئاسات، ومناصب وولايات، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول؟

فإن نفس ما جاء به: يضاد أهواءهم ولذاتهم، وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم، والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإراداتهم؟

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريباً بين هٰؤلاء الذين قد اتبعوا أهوائهم، وأطاعوا شحهم، وأعجب كل منهم برأيه؟ كما قال النبي ﷺ: «مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لا

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٧٤).

بد لك به، فعليك بخاصته نفسك، وإياك وعوامهم، فإن وراءكم أياماً صبر الصابر فيهن كالقبض على الجمر»(١).

ولهٰذا جعل للمسلم الصادق في هٰذا الوقت إذا تمسك بدينه أجر خمسين من الصحابة؛ ففي سنن أبي داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة الخشني قال: سألت رسول الله ﷺ عن هٰذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥]. فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله» قلت: يا رسول، أجر خمسين منهم؛ قال: «أجر خمسين منكم»(٢)

وهٰذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس، والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم.

فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة في دينه، وفقهاً في سنة رسوله، وفهماً في كتابه، وأراه ما الناس فيه: من الأهواء والبدع والضلالات، وتنكبهم عن الصراط المستقيم، الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فإذ أراد أن يسلك هٰذا الصراط؛ فليوطن نفسه على قدح الجهال، وأهل البدع فيه، وطعنهم عليه، وإزرائهم به، وتنفير الناس عنه، وتحذيرهم منه، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ.

---

(١) حديث معاذ بن جبل، وانظر لزاماً «القابضون على الجمر» (ص١٣).

(٢) مضى تخريجه (ص٢٧).

فأما إن دعاهم إلى ذٰلك، وقدح فيما هم عليه؛ فهنالك تقوم قيامتهم، ويبغون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورَجله.

فهو:

غريب في دينه؛ لفساد أديانهم.

غريب في تمسكه بالسنة؛ لتمسكهم بالبدع.

غريب في اعتقَاده؛ لفساد عقائدهم.

غريب في صلاته؛ لسوء صلاتهم.

غريب في طريقه، لضلال وفساد طرقهم.

غريب في نسبته؛ لمخالفة نِسَبهم.

غريب في معاشرته لهم؛ لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة؛ فهو غريب في أمور دنياه وآخرته، لا يجد من العامة مساعداً ولا معيناً، فهو:

عالم بين جهال.

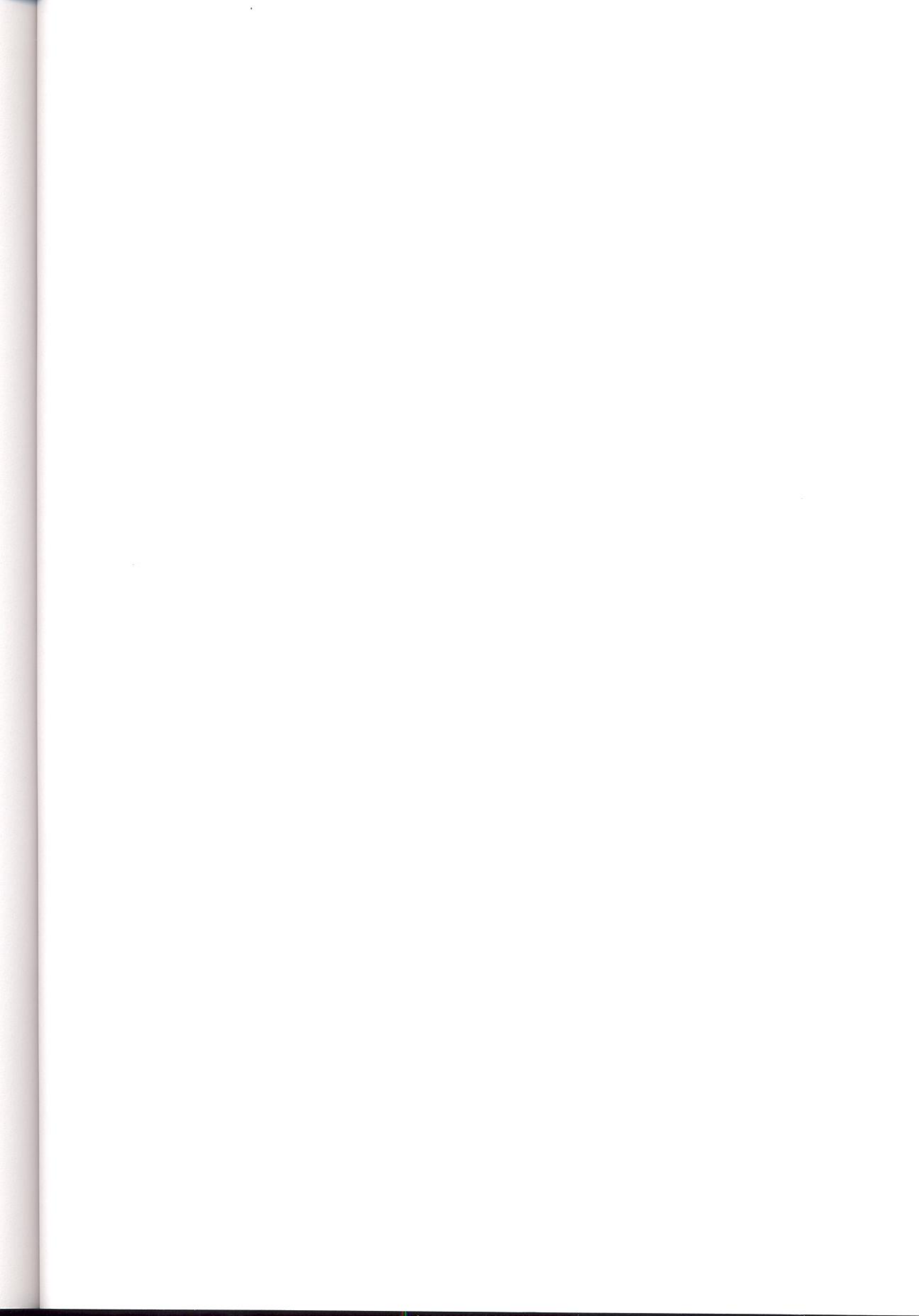
صاحب سنة بين أهل بدع.

داع إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبدع.

آمر بالمعروف ناه عن المنكر بين قوم المعروف لديهم منكر، والمنكر معروف» أ. هـ[1].

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/١٩٨-٢٠٠).



الباب السادس
منهج السلف والفرقة الناجية

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»**(١).

عن أبي عامر عبد الله بن لُحَيّ قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة؛ قام حين صلى صلاة الظهر، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: **«إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هٰذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة -يعني: الأهواء- كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة.**

---

(١) حسن - أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، والحاكم (١/ ٦١، ١٢٨) وغيرهم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عنه به.

قلت: إسناده حسن، لأن محمداً صدوق، وباقي رجاله ثقات.

وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه؛ لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله».

والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ؛ لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به[(١)].

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة؛ فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده؛ لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار**».

قيل: يا رسول الله من هم؟

قال: «**الجماعة**»[(٢)].

---

(١) حسن - أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، وأحمد (٤/١٠٢)، والدارمي (٢/١٥٨)، والحاكم (١/١٢٨)، والآجري في «الشريعة» (٣١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١، ٢، ٦٥)، وابن نصر المروزي في «السنة» (ص١٤ و١٥) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٥٠)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٤٥ و٢٤٧)، وقوام السنة للأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (١٠٧) وغيرهم من طريق صفوان بن عمرو قال: حدثني أزهر بن عبد الله الحرازي عن أبي عامر الهوزني عنه به.

قلت: إسناده حسن؛ رجاله ثقات غير أزهر بن عبد الله؛ فإنه صدوق.

(٢) حسن - أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣) واللالكائي في «شرح أصول أهل السنة والجماعة» (١٤٩)، وقوام السنة الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» =

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية؛ لكان في أمتي من يصنع ذٰلك، وإن بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة؛ كلهم في النار؛ إلا ملة واحدة» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»(١).

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «افترقت بنو اسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، أو قال اثنتين وسبعين فرقة - وتزيد هٰذه الأمة فرقة واحدة، كلها في النار؛ إلا السواد الأعظم». فقال له رجل: يا أبا أمامة من رأيك أو سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: إني إذاً لجريء، بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة، ولا مرتين، ولا ثلاث(٢).

وفي الباب عن أنس، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وواثلة بن الاسقع، وأبي الدرداء، وعمرو بن عوف المزني، وعلي ابن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم(٣).

= (١٩-٢٠) كلهم من طريق عمرو بن عثمان حدثنا عباد بن يوسف حدثني صفوان بن عمرو عن راشد ابن سعد عنه به.

قلت: إسناده حسن؛ رجاله ثقات غير عباد بن يوسف؛ فإنه صدوق.

(١) مضى تخريجه (ص٧٤-٧٥).

(٢) حسن - أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٨)، وابن نصر في «السنة» (ص١٦، ١٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٥١، ١٥٢)، وأبو نعيم الأصبهاني في «أخبار أصبهان» (١/٢٨٦)، والبيهقي (٨/١٨٨) وغيرهم من طرق عن أبي غالب عنه به.

قلت: إسناده حسن، لأن أبا غالب واسمه حزور وهو صاحب أبي أمامة صدوق إن شاء الله.

(٣) وقد تكلمت عليها بتفصيل في كتابي «نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة» فلينظر.

أحاديث الافتراق تنبىء عن حتمية افتراق الأمة الإسلامية اتباعاً لسنن أهل الكتابيين: اليهود والنصارى، وهٰذه الفرق مذمومة كلها متوعدة بدخول النار إلا فرقة واحدة ناجية من الأهواء المضلة، وفي ذٰلك بيان وتبصير على معرفة منهج الناجين لسلوك سبيلهم.

ومن أنعم النظر في أحاديث الافتراق تجلى له عياناً كالقمر ليلة البدر أن منهج السلف هو سبيل الفرقة الناجية، وتقرير ذٰلك من وجوه:

الأول: الافتراق من سنن المغضوب عليهم والضالين، والفرقة الناجية لا تتبع سننهم ولا تسلك سبيلهم وأنما تسأل الله أن يهديها صراط الذين أنعم عليهم كما في فاتحة الكتاب: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهم الذين عرفوا الحق واتبعوه، ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم هم أولى بذٰلك من غيرهم، فإنه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ جهلوا الحق وعرفه غيرهم، أو رفضوه وتمسك به غيرهم.

ولهٰذا فسر السلف الصراط المستقيم وأهله بأصحاب رسول الله ﷺ.

وبذٰلك يتبين: أن منهج السلف هو سبيل الفرقة الناجية.

الثاني: الفرقة الناجية هي الجماعة، والجماعة هم أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنه لم يكن آنذاك جماعة غير أصحاب رسول الله ﷺ، فتبين أن الجماعة بعد الافتراق هي الثابتة على ما كانت عليه الجماعة قبل الافتراق كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ولو لم تكن كذٰلك فلا معنى للجماعة.

وهٰذا يقتضي أن الفرقه الناجية هي ما كانت على منهج السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

الثالث: أن المتفرقين عن الجماعة أصحاب هوى كما وصفهم رسول الله ﷺ في حديث معاوية رضي الله عنه، وأما الناجون فهم على الهدى لأنهم معتصمون بحبل الله ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقد أخبر الله تعالى أن المعتصم بحبله مهتد: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، والصراط المستقيم هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فلذٰلك فإن منهج السلف هو سبيل الفرقة الناجية.

الرابع: أن رسول الله ﷺ أخبر أن الناجية هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهٰذا يدل على أن فيصل التفريق بين الناجين والهالكين إنما هو اتباع الصحابة فيما كانوا عليه لأنه ما كان عليه رسول الله ﷺ، ولذٰلك فمناط النجاة والهداية هو منهج السلف، فهو سبيل الفرقة الناجية.

الخامس: أن النجاة من الاختلاف الكثير الذي تمثله الفرق هو سنة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين؛ كما في حديث عرباض بن سارية رضي الله عنه: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلاف كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[1]، وهٰذا يقتضي أن منهج السلف هو سبيل الفرقة الناجية، وتقرير ذٰلك من وجوه:

---

(١) مضى تخريجه (ص٦٧-٦٩).

أ- أن الاختلاف الكثير هو الفرق المنحرفة عن الفرقة الناجية.

ب- أن الاختلاف الكثير ليس من عند الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ت-أن الفرقة الناجية نجت من الاختلاف والافتراق فهي على منهج من عند الله.

ث- أن النجاة من الاختلاف هو التمسك بسنة رسول الله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين.

جـ- إذاً سنة رسول الله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين هي منهج من عند الله.

حـ- إذاً منهج السلف الصالح هو السبيل المؤدي إلى النجاة فهو سبيل الفرقة الناجية.

الباب السابع
منهج السلف والطائفة المنصورة

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يزال ناس من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**»[١].

عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»[٢].

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[٣].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي، يقاتلون على الحق، إلى يوم القيامة**»[٤].

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم حتى**

---

(١) صحيح - أخرجه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١).

(٢) صحيح - أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧) (١٧٤).

(٣) صحيح - أخرجه مسلم (١٩٢٠).

(٤) صحيح - أخرجه مسلم (١٩٢٣).

يقاتل آخرهم المسيح الدجال»(١).

عن قرة بن إياس المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»**(٢).

في الباب: عن جابر بن سمرة، وسعد بن أبي وقاص، وعقبة بن عامر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وزيد بن أرقم، وأبي هريرة، وعمر بن الخطاب، وسلمة بن نفيل الكندي، والنواس بن سمعان، وأبي أمامة الباهلي، ومرة بن كعب الفهري، وشرحيل بن السمط، ومعاذ بن جبل، وأبي عنبة الخولاني رضي الله عنهم(٣).

---

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٤٨٤)، وأحمد (٤/ ٤٢٩ و٤٣٧) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٦٨ و١٦٩)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٢٧)، والحاكم (٤/ ٤٥) من طريق حماد بن سلمه عن قتادة عن مطرف عنه به.

قلت: إسناده رجاله ثقات لكن فيه عنعنة قتادة، ولكن تابعة حماد بن زيد عن الجريري عن مطرف عن عمران: أخرجه أبو عوانة (٥/ ١١٠)، والجريري ثقة اختلط لكن رواية حماد عنه قبل الاختلاط.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح.

(٢) صحيح - أخرجه الترمذي (٢١٩٢) وأحمد (٣/ ٤٣٦ و٥/ ٣٤ و٣٥)، وعلي بن الجعد في «مسنده» (١١١١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٧٢)، وابن حبان (٦١) وغيرهم كلهم من طريق شعبة حدثنا معاوية بن قره عن أبيه.

قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) ولذلك عدّه أهل العلم متواتراً؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٦)، والسيوطي في «الأزهار المتناثره» (ص٢١٦)، والكتاني في «نظم المتناثر» (ص٩٣)، والزبيدي في «سقط اللآلىء» (ص٦٨-٧١)، وشيخنا الألباني في «صلاة العيدين» (ص٣٩-٤٠).

أحاديث الطائفة المنصورة تنبىء عن استمرار الخير في الأمة الإسلامية اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وتقرير ذٰلك من وجوه:

الأول: أن الطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية لا فرق لأنها تفضى إلى حقيقة واحدة.

قال الآجري: «وقوله ﷺ: «سيعود غريباً» معناه - والله أعلم: أن الأهواء المضلة تكثر فَيَضِلُّ بها كثير من الناس، ويبقى أهل الحق الذين هم على شريعة الإسلام غرباء في الناس، ألم تسمع قول النبي ﷺ: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» فقيل: من هي الناجية؟ قال «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[(١)].

وقال ابن رجب: «وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة؛ فبسببها تَفرَّق أهل القبلة، وصاروا شيعاً، وكفَّر بعضهم بعضاً، وأصبحوا أعداء وفرقاً وأحزاباً، بعد أن كانوا إخواناً قلوبهم على قلب رجل واحد، فلم ينجُ من هٰذه الفرق إلا الفرقة الناجية، وهم المذكورون في قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذٰلك». وهم في آخر الزمان الغرباء المذكورون في هٰذه الأحاديث»[(٢)].

قال شيخ الإسلام في مقدمة «العقيدة الواسطية»: «أما بعد؛ فهٰذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة»[(٣)].

---

(١) «صفة الغرباء من المؤمنين» (ص٢٧).

(٢) «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» (ص٢٢).

(٣) «مجموعة الرسائل الكبرى» (١/ ٣٩٣).

ثم قال في خاتمتها: «لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وفي حديث عنه أنه قال: «هم ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة، وفيه الأبدال، وفيهم أئمة الدين، وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة» نسأل الله أن يجعلنا منهم، ولا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا»[(١)].

وقال اللالكائي: «فهي الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، والعصبة الهادية، والجماعة العادلة المتمسكة بالسنة»[(٢)].

هٰذا ما صرح به أهل العلم من السلف، ولو تدبرت أوصاف الطائفة المنصورة والفرقة الناجية لما وجدت بينها تعارض وتغاير.

لقد وردت الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ بتعيين أوصاف الفرقة الناجية والطائفة المنصورة منهجاً وحالاً، وواقعاً ومآلاً:

أما المنهج والحال؛ فقد وردت ثلاثة ألفاظ بتحديد ملامحه:

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٤١١).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٢٤).

أ- «ما أنا عليه وأصحابي».

ب- «الجماعة».

ت- «السواد الأعظم».

وهٰذه الألفاظ النبوية تتفق ولا تفترق، وتأتلف ولا تختلف، وتجتمع ولا تمتنع كما بينه الآجري فقال: «ثم إنه صلوات الله وسلامه عليه سئل: من الناجية فقال عليه الصلاة والسلام في حديث: «ما أنا عليه وأصحابي»، وفي حديث: «السّواد الأعظم»، وفي حديث: «واحدة في الجنة وهي الجماعة».

قلت أنا: ومعانيها واحدة إن شاء الله تعالى»[١].

هٰذه الطائفة المنصورة هي الجماعة؛ لأن الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك.

عن عمرو بن ميمون الأودي: قال قدم علينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله ﷺ؛ فوقع حبه في قلبي، فلزمته حتى واريته في التراب بالشام، ثم لزمت أفقه الناس بعده عبد الله بن مسعود فَذُكر يوماً عنده تأخير الصلاة عن وقتها فقال: «صلوا في بيوتكم واجعلوا صلاتكم معهم سبحة» فقلت له: وكيف لنا بالجماعة؟ فقال لي: «يا عمرو بن ميمون إن جمهور الجماعة هي التي تفارق الجماعة إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك»[٢].

---

(١) «الشريعة» (١/١٢٥).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٦٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٣٢٢/ ٢)، وصححه شيخنا حفظه الله في «تخريج مشكاة المصابيح» (١/ ٦١).

قال أبو شامة: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة؛ فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم»(١).

وبذلك تبين: أن الطائفة المنصورة والفرقة الناجية هي السواد الأعظم.

قال إسحاق بن راهويه رحمه الله: «لو سألت الجهال عن السواد الأعظم لقالوا جماعة الناس، ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر النبي ﷺ وطريقه فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة»(٢).

قال الشاطبي: «فانظر حكايته تتبين غلط من ظن أن الجماعة هي جماعة الناس وإن لم يكن فيهم عالم وهو فهم العوام لا فهم العلماء؛ فليثبت الموفق في هذه المزلة قدمه لئلا يضل عن سواء السبيل، ولا توفيق إلا بالله»(٣).

وقال ابن حبان: «الأمر بالجماعة بلفظ العموم، والمراد منه الخاص؛ لأن الجماعة هي إجماع أصحاب رسول الله ﷺ، فمن لزم ما كانوا عليه وشذ عمن بعدهم لم يكن شاق الجماعة ولا مفارق لها، ومن شذ عنهم وتبع من بعدهم كان شاقاً للجماعة، والجماعة بعد الصحابة هم أقوام اجتمع فيهم الدين والعقل والعلم ولزموا ترك الهوى فيما هم فيه وإن قلَّت أعدادهم لا أوباش الناس ورعاعهم وإن كثروا»(٤).

---

(١) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص٢٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/٢٣٩).

(٣) «الاعتصام» (٢/٢٦٧).

(٤) «صحيح ابن حبان» (٨/٤٤).

ولا شك أن الطائفة المنصورة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

وبهٰذا تتضح معالم منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة: أنه الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؛ محمد والذين معه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما الواقع والمآل؛ فقد ورد أنها ناجية منصورة ولا تعارض ولا تناقض فهي ناجية في الدنيا من الخلاف والبدع، وفي الآخرة من النار، منصورة في الدنيا بظهورها على الحق، وفي الآخرة بفوزها بجنات عدن في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وقد ظن بعض الدعاة المعاصرين: أن النصر لا يكون إلا للمقاتلين؛ ولذٰلك فقد زعم: أن الطائفة المنصورة غير الفرقة الناجية وهٰذا وهم وتوهم ليس له قوائم حق وبراهين صدق.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

فهل انتصارات جميع الرسل كانت في ساحات المعارك وميادين القتال؟

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

فهل النصر المضمون من رب العالمين لرسله والمؤمنين يكون في ساحات المعركة فحسب، وهل يكون يوم القيامة يوم يقوم الأشهاد قتال؟

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴾ [الصافات: ١١٤-١١٦].

فهل انتصار موسى وهارون على فرعون وهامان وقارون كان في ميادين القتال وساحات النزال ومقارعة الأبطال أو أنه ثمره للصبر والمصابرة والمرابطة وتقوى الله؟

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

فهل انتصار رسول الله ﷺ أثناء هجرته كان فيه مواجهة في ساحات القتال أم أنه النجاة من أذى الكفار وكيدهم وعدم وصولهم إليه وإلى صاحبه؟

وهب جدلاً أن الفرقة الناجية هي سواد الطائفة المنصورة، والقاعدة الشعبية لها فهل الفرقة الناجية في معزل عن النصر وأسبابه بل إنها أهم عنصر فاعل فيه.

عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي ﷺ: «هل تنصرون إلا بضعفائكم»[1].

(١) صحيح - أخرجه البخاري (٢٨٩٦).

وفي رواية: «إنما ينصر الله هٰذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»[١].

إذاً فالضعفاء لهم أثر فعال في تحقيق النصر، وبهٰذا يتبين: أن الفرقة الناجية كذٰلك منصورة والطائفة المنصورة ناجية لا فرق بينهما، وأن التفريق بينهما من محدثات العصر.

الثاني: أن الطائفة المنصورة ظاهرة على الحق متمكنة به لا تزحزح عنه.

وقد تنوعت عبارات الأحاديث وتعددت في بيان أن هٰذه الطائفة تحمل الحق الذي كان عليه محمد ﷺ وأصحابه من غير تحريف ولا تبديل ولا تأويل ولا انتحال؛ فتارة بأنهم «على الحق»، وأخرى أنهم «على أمر الله»، وثالثه أنهم «على هٰذا الأمر»، وأخيرة «على الدين»، وهٰذا يستلزم أنها على الحق قدراً وشرعاً.

وقد تقدم: أن الحق هو ما كان عليه السلف الصالح، إذاً فمنهج السلف الصالح سبيل الطائفة المنصورة.

الثالث: أن الطائفة المنصورة لا يضرها من خالفها ولا من خذلها وإنما صارت الفرق فرقاً مذمومة بمخالفتها للطائفة المنصورة والفرقة الناجية، ولما كانت الفرق ليست على منهج السلف فالطائفة المنصورة هي القائمة على منهج السلف الصالح.

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٤٥).

الرابع: أن الطائفة المنصورة قائمة بأمر الله متصدية للدعوة إلى الله لإصلاح الناس بالكتاب والسنة، ولا طريق لذلك إلا بفهم السلف الصالح.

الخامس: أن الطائفة المنصورة ظاهرة إلى قيام الساعة.

وهذا الظهور يشمل معان كثيرة؛ منها:

أ- الوضوح والبيان وعدم الاستتار وهذه صفة منهج السلف: وضوح المنهج وعلانية الدعوه؛ كما تقدم(١).

قال ابن الجوزي: «فقد بان بما ذكرنا: أن أهل السنة هم المتبعون، وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل، ولا مستند له، ولهذا استتروا ببدعتهم، ولم يكتم أهل السنة مذهبهم، فكلمتهم ظاهرة، ومذهبهم مشهور، والعاقبة لهم»(٢).

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «إذا رأيتم قوماً يتناجون في دينهم دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة»(٣).

وقال فيما كتبه إلى أبي بكر بن حزم: «أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يُعَلَّم من لا يعلم؛ فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً»(٤).

---

(١) في الباب الخامس (ص٧٩).

(٢) «المنتقى النفيس من تلبيس إبليس» (ص٤٠).

(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٤٨)، والدارمي (١/ ٩١) وهو صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ١٩٤ فتح).

ب- تمكن الحق من نفوسهم واستقامتهم عليه لا يثنيهم عنه شيء ولا يلهيهم أمر وهٰذه صفة حزب الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

ولا شك أن حزب الله هم محمد ﷺ والذين معه من أصحابه الأبرار ومن تبعهم بإحسان: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢١، ٢٢].

ت- الغلبة والتمكن والعلو والظفر وهٰذا لا يحققه إلا منهج السلف كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الباب الأخير.

السادس: أن الطائفة المنصورة صابره مصابرة مرابطة حتى يأتي أمر الله وهي على ذٰلك.

وقد سمى رسول الله ﷺ غربة الإسلام الثانية حيث يتجلى صبر الفرقة الناجية وثبات الطائفة المنصوره بـ «أيام الصبر» كما في حديث أبي ثعلبة الخشني أن النبي ﷺ قال: «**إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله**» قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم قال: «**أجر خمسين منكم**»(١).

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٧).

وإنما الأجر في أيام الصبر لمن تمسك بمنهج السلف؛ كما في حديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن من ورائكم أيام الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم» قالوا: يا نبي الله منا أو منهم؟ قال: «بل منكم»[١].

السابع: إجماع أهل العلم من أهل السنة والجماعة أن الطائفة المنصورة هم السلف الصالح أهل الحديث.

لقد اتفقت كلمة أهل العلم على أن أهل الحديث هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية.

قال عبد الله بن المبارك: «هم عندي أصحاب الحديث»[٢].

وقال علي بن المديني: «هم أصحاب الحديث والذين يتعاهدون مذاهب الرسول ﷺ، ويذبون عن العلم لولاهم لم تجد عند المعتزله والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء شيئاً من السنن».

وفي رواية: «لأهلك الناس المعتزله والرافضة والجهمية وأهل الأرجاء»[٣].

---

(١) حسن لغيره - أخرج ابن نصر المروزي في «السنة» (ص٩) بإسناد صحيح لولا الانقطاع بين إبراهيم بن أبي عبلة وعتبة بن غزوان.

وله شواهد كما في كتابي «درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب» فبها يرتقي إلى درجة الاحتجاج.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٩٢ و٢٢٢٩)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص ١٠ و٢٧)، وابن الجوزي في «تلبيس ابليس» (ص١٨) من طريقين عنه.

قلت: وهو صحيح.

قال أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم»[١].

وقال أحمد بن سنان الحافظ: «هم أهل العلم وأصحاب الآثار»[٢].

قال البخاري: «يعني أصحاب الحديث»[٣].

واحتج الترمذي[٤] بقول علي بن المديني المتقدم[٥]، وقال: «تفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث»[٦].

ثم تواتر هذا التفسير من عن أهل العلم كابن قتيبة[٧]، وابن حبان[٨]، والآجري[٩]، وابن الجوزي[١٠]، والحاكم[١١]، والخطيب البغدادي[١٢]،

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٧) وله طرق متعدده عنه، وهو صحيح.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٧).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٧) وله عنه طرق وألفاظ أخر.

(٤) في «السنن» (٤/ ٤٨٥ و٥٥٤-٥٥٥).

(٥) (ص١٠٨).

(٦) المصدر السابق (٤/ ٢٦٧).

(٧) «تأويل مختلف الحديث» (ص٥١).

(٨) «الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١/ ١٤).

(٩) «الاربعين» (ص٥٥).

(١٠) «تلبيس ابليس» (ص١٦).

(١١) «معرفة علوم الحديث» (ص٢-٣).

(١٢) «شرف أصحاب الحديث» (ص٧-١٠).

والبغوي[١]، والنووي[٢]، وغيرهم[٣] كثير حتى إنني رغم عمق التقصي وشدة التفصي لم أجد لهم مخالفاً مما يؤكد الإجماع الذي نقله النووي[٤].

ومن المعلوم ضرورة أن أهل الحديث هم السلف الصالح، ولذلك فمنهجهم هو سبيل الطائفة المنصورة الناجية[٥].

---

(١) «شرح السنة» (٤/٢١٣).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٣/١٦-١٧).

(٣) وانظر أقوالهم المحشودة، واظفر بها؛ فإنها الضالة المنشودة في «أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية» للأخ الكبير الشيخ الدكتور أبي محمد ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله ورعاه.

(٤) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/١٧).

(٥) وانظر لزاماً «الانتصار لأهل الحديث» لأخينا الفاضل الدكتور أبي مالك محمد بن عمر سالم بازمول حفظه الله؛ ففيه تفصيل جملة ذلك.

الباب الثامن
منهج السلف وواقع الأمة الإسلامية

١ - التصفية:

عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري قال: قال رسول الله ﷺ: «يحمل هٰذا العلم من كل خلف عدوله: ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[1].

---

(١) حسن لغيره - أخرجه ابن أبي حاتم في «مقدمة الجرح والتعديل» (١/١/١٧)، وابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/١١٩)، وابن عدي في «الكامل» ١/١٢٧ و١٥٣ و٢/٥١١) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/٣٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/٢٣٢/ ٢ و١/٢٣٣/ ١ و٦/٣٢٦/ ٢) وابن حبان في «الثقات» (٤/١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/٢٠٩) و«دلائل النبوة» (١/٤٣-٤٤)، وابن عبد البر في «التمهيد (١/٥٩)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٩)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١)، وأبو بكر الأجري في «الشريعة» (١ و٢) و«ذكر الأمر بلزوم الجماعة» (١/١)، والحازمي في «الفيصل» (٢/١)، وابن بطة في «الإبانة» (١/١٢٩/١)، وعبد الغني المقدسي في «العلم» (٢/٤٤/ ٢) و«الإكمال» (١/١٢/ ٢)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/٥٣/ ٢) من طريق معان بن رفاعة عنه به.

قلت: معان لين الحديث، وإبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري تابعي؛ فحديثه مرسل لٰكن تابع الوليد بن مسلم معان بن رفاعة فقال: ثنا إبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري ثنا الثقة من أشياخنا قال: قال رسول الله ﷺ.

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/١٥٣)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (٢)، والبيهقي في «السنن» (١٠/٢٠٩)، و«دلائل النبوة» (١/٤٤) ولٰكن الإسناد يبقى مرسلاً، وهٰذا ما رجحه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/٣٣٧) بقوله: «مرسل، وإسناده فيه ضعف» =

. . . .

= قلت: لكن له شواهد عن جمع من الصحابة: أبي هريرة، عبد الله بن مسعود، علي بن أبي طالب، عبد الله بن عمرو، معاذ بن جبل، أسامة بن زيد، عبد الله بن عباس، أبي أمامة، جابر بن سمرة رضي الله عنهم.

١- حديث أبي هريرة، له عنه طريقان.

الأولى: من طريق عبد الرحمٰن بن يزيد بن تميم السلمي عن علي بن مسلم البكري عن أبي صالح الأشعري عنه مرفوعاً.

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/١٥٣)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٨) والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٣٤)، والهروي في «ذم الكلام» (٤/٨٢/١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/٢٧٩/١-٢).

قلت: إسناده ضعيف؛ فيه عبد الرحمٰن بن يزيد السلمي ضعيف.

الثانية: من طريق مروان بن معاوية الفزاري عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عنه به.

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/١٥٢)، وأبو الحسن بن غنائم في «الفوائد» (١/٦/٢).

قلت: رجاله ثقات إلا أن أبا حازم لم يسمع من أحد من الصحابة سوى سهل بن سعد؛ كما في «جامع التحصيل» (ص٢٢٧)؛ فالإسناد منقطع.

٢- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أخرجه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٨) أخبرنا عبيد الله بن أحمد الصيرفي قال: ثنا محمد بن المظفر الحافظ قال: ثنا أحمد بن يحيى بن زكير أو دكين قال: ثنا محمد بن ميمون بن كامل الحمراوي قال: ثنا أبو صالح قال: ثنا الليث بن سعد قال: ثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عنه به مرفوعاً.

قلت: إسناده ضعيف؛ فيه أحمد بن يحيى بن زكير ضعيف؛ كما في «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٢/١١٠٥)، و«لسان الميزان» (١/٣٢٣)، ومحمد بن ميمون بن كامل الحمراوي هو محمد بن كامل بن ميمون؛ كما في «لسان الميزان» (٥/٣٥١)، وأبو صالح كاتب الليث ضعيف لسوء حفظه وما فوقه ثقات.

٣- حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/١٥٢)؛ وفيه محمد بن محمد بن أشعث الكوفي وضاع، كما في ترجمته في «الكامل» (٦/٢٣٠٣ و٢٣٠٤). =

. . . .

ـــــــــــــــــــــــ

= ٤- حديث عبد الله بن عمر مقروناً مع أبي هريرة: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/١٥٢ و٣/٩٠٢)، والبزار (١/٨٦ - كشف الأستار)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١/٥٩)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/١٠)، والهروي في «ذم الكلام» (ق ٧٦/١).

قلت: إسناده موضوع؛ لأن فيه خالد بن عمرو القرشي وهو كذاب، وقد انقلب على الهيثمي في «المجمع» (١/١٤٠) والبزار إلى عمرو بن خالد، والصواب ما ذكرته؛ كما في مصادر ترجمته.

٥- حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١/٩) وابن عدي في «الكامل» (١/١٥٣) من طريق محمد بن عبد العزيز الرملي عن بقية عن رزيق أبي عبد الله الألهاني عن القاسم أبي عبد الرحمٰن به.

قلت: إسناده ضعيف؛ فيه محمد بن عبد العزيز الرملي ضعيف؛ وشيخه بقيه مدلس، وقد عنعنه.

٦- حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أخرجه الخطيب البغدادي (ص١١).

قلت: إسناده ضعيف جداً فيه زيد بن الحريش مجهول، وشيخه عبد الله بن خراش متهم بالكذب، وشهر بن حوشب ضعيف لسوء حفظه ولم يسمع من معاذ.

٧- حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أخرجه الخطيب البغدادي (ص٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/٢٤٤/١)، والعلائي في «بغية الملتمس» (ص٣٤) من طريق محمد بن سليمان بن أبي كريمة عن معان بن رفاعة عن أبي عثمان النهدي عنه به.

قلت: إسناده ضعيف؛ فيه محمد بن سليمان بن أبي كريمه ضعيف، وقد وهم الحافظ العلائي؛ فظنه محمد بن سليمان الحراني المعروف بـ «بومة»؛ فحسّن الحديث، والحق أنه ضعيف؛ كما قال الحافظ في «الإصابة» (١/٢٢٥): «ولا يثبت».

٨- حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه: أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (ق٧٦/١)، وعنه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٣١).

قلت: إسناده ضعيف جداً؛ فيه سعيد بن سماك متروك؛ كما في «الجرح والتعديل» (٤/٣٣). =

هٰذا الحديث النبوي أصل لمنهج تصفية الدين مما خالطه مما ليس منه؛ فَغَيّره وحرّفه وبدّله وَأَوّله؛ ليبطله، فإن العلم الذي ورد ذكره في حديث العدول هو الدين كله؛ كما قال محمد بن سيرين رحمه الله: «إن هٰذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم»[١].

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «فأخبر ﷺ أن العلم الذي جاء به يحمله عدول أمته من كل خلف حتى لا يضيع ويذهب»[٢].

= ٩- حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (ق ٧٥/ ٢).

قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن فيه وهب بن وهب، وهو ابن كثير أبو البختري متهم بالوضع؛ كما في «الميزان» (٤/ ٣٥٣-٣٥٤).

وبالجملة: فالحديث عندي حسن بمجموع شواهده من مرسل العذري وحديث أبي أمامة وأسامة بن زيد وأبي هريرة؛ فإنها وإن كانت لا تسلم من ضعف فإنها تقوي بعضها بعضاً، وبقية شواهده لا يفرح بها، وقد فصلت ذٰلك تفصيلاً كافياً، وأوضحته بياناً شافياً في كتابي «تحرير القول في تصحيح حديث العدول».

قال ابن الوزير اليماني في «العواصم والقواصم» (١/ ٣٠٨-٣١٢): «وهو حديث مشهور صححه ابن عبد البر... وهو صحيح على أصول أصحابنا؛ لأنه لم يطعن فيه إلا بالإرسال على أنه مختلف في إرساله وإسناده... وقد رويت له شواهد كثيرة وضعفها لا يضر؛ لأن القصد التقوي بها، لا الاعتماد عليها مع أن الضعف يعتبر به إذا لم يكن ضعيفاً بمرة أو باطلاً أو مردوداً أو نحو ذٰلك، فهٰذه الوجوه مع تصحيح أحمد وابن عبد البر وترجيح العقيلي لإسناده مع أمانتهم واطلاعهم يقتضي بصحته أو حسنه إن شاء الله تعالى».

وقال القسطلاني في «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (١/ ٤): «وهٰذا الحديث رواه من الصحابة علي، وابن عمر، وابن عمرو، وابن مسعود، وابن عباس، وجابر بن سمرة؛ ومعاذ، وأبي هريرة رضي الله عنهم، وأورده ابن عدي من طرق كثيرة كلها ضعيفة كما صرح به الدارقطني وأبو نعيم وابن عبد البر لكن يمكن أن يتقوى بتعدد طرقه ويكون حسناً، كما جزم به ابن كيكلدي العلائي».

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١/ ١٤ - المقدمة).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٦٣).

قال صديق حسن خان رحمه الله:

«وإنك إذا تأملت في مباني هٰذا الحديث وبلاغة معانيه، أيقنت أنه ليس له محمل عليه إلا أهل الحديث، وعصابة السنة، وجماعة التوحيد، وأن هٰذه الأوصاف ما وجدت قط إلا فيهم، ولا توجد إلا فيمن كان على سبيلهم السوي، وصراطهم القوي، وأن جميع الألفاظ الثلاثة الجامعة لكل من عداهم، لا يخرج عنها خارج من المقلدة، ولا من المتكلمة والمبتدعة، على اختلاف أنواعها، وتباين شوارعها، فهٰذا من أعلام النبوة.

وفيه بشارة لأهل الحديث، بكونهم معدلين على لسان نبي الأمة ورسول الرحمة، وهٰذه خصيصتهم لا يشاركهم فيها أحد من العالمين.

والناس الآخرون، إنما عدّلهم أبناء جنسهم، وفيهم الصادقون والكاذبون.

وفيه نعي على سائر الفرق، غير الفرقة الناجية -التي هي عبارة عن عصابة السنة- بكونهم غالِين، ومبطلين، وجاهلين.

فتدبر أيها السني في هٰذا الخبر الشريف، واعتبر بمفهومه اللطيف، لعل الله يهديك إلى صراطه المستقيم، وهو المستعان»[1].

وبهٰذا تبين: أن عدول الأمة من السلف الصالح واتباعهم في كل قرن يقومون بواجب التصفية ليعود الاسلام نقياً صافياً كما أنزل على رسول الله ﷺ، وورثه أصحابه رضي الله عنهم.

---

(١) «الدين الخالص» (٣/٥٤٦).

قال صديق حسن خان شارحاً الحديث:

«يعني علم الكتاب والسنة، يحمله من كل جماعة آتية بعد السلف، أهل العدل منهم، الراوون له.

«ينفون عنه تحريف الغالين»؛ أي: تغيير المتجاوزين عن الحدّ في أمر الدين.

والتحريف: تبديل الحقّ بالباطل بتغيير في اللفظ، أو في المعنى.

«وانتحال المبطلين»؛ أي: يدفعون كذب أهل الباطل.

والانتحال: أن يدّعي شيئاً لنفسه كذباً؛ من الشعر أو القول وهو لغيره، وهنا كناية عن الكذب.

«وتأويل الجاهلين»؛ أي: يذبون تأويلهم الذي أوّلوه من غير علم وفهم للآيات والأحاديث، وصرفوه عن ظاهره.

والحديث دليل واضح على تعديل أهل الحديث على لسان رسول الأمة، ونبي الرحمة ﷺ.

وهٰذه فضيلة وشرافة لا يساويها شيء من الفضائل، ولٰكنّ هٰذا الفضل مشروط بالأوصاف المذكورة في هٰذا الحديث.

وقد وجدت هٰذه الصفات في عصابة الحديث، وجماعة المحدثين، قديماً وحديثاً، ولله الحمد.

وما أجمع هٰذا الحديث لأوصاف أهله واختصاصهم بها؛ فإن تلك الصفات لا توجد -على وجه الكمال- إلا في أهل السنّة المطهرة.

ويدخل في هٰذا الحديث كل من هو عالم به وبالكتاب، وفيه هٰذه الأوصاف، وكذا كل من يصدق عليه أنه غال، أو مبطل، أو جاهل، فهو داخل في هٰؤلاء المنفيين.

فمن الغالين الطائفة القائلة بوحدة الوجود مستدلة -بزعمها- ببعض القرآن والحديث.

فهٰذا الاستدلال منهم بالكتاب والسنّة تحريف لهما؛ لأنهما قاضيان على كفر من قال بهٰذه المقالة، دلالةً من النصّ، وإشارةً منهما.

ومنهم الطائفة الرّافضة المدعية لحبّ أهل البيت، وهم عن حبهم بمعزلٍ، وفتنتهم أشدُّ الفتن الباقية في الإسلام.

ومنهم الخوارج الغالون في كتاب الله، النافون للحديث والاحتجاج به.

ومنهم المعتزلة، والجهمية، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، ومن في معناهم من شعبهم، ومن غيرهم.

وأمّا المبطلون فهم فلاسفة الإسلام، وحكماء هٰذه الملة، الذين انتحلوا أديان أهل اليونان، ومسائلهم ومقالاتهم، في كتبهم القديمة والجديدة، وتكلموا على بنائها في الأحكام الشرعية، وأسسوا قواعد عقلية، وافتخروا بهٰذا الانتحال، وباهوا بذٰلك القيل والقال، وهم -في الحقيقة- أعداء الإسلام، ومبطلو دين خير الأنام، وعلمهم هٰذا انتحال لدين اليونان، وإبطال للملة المحمدية.

وأما الجاهلون فمنهم مقلدة المذاهب؛ جهلوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واتخذوا مقالات الأئمة الكرام ديانة لهم، ومنهاجاً ينهجون إليه، وشرعة يسلكونها.

فإذا وقفوا على آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة تخالف مذهبهم، صاروا يؤولونها على غير تأويلها، ويصرفونها عن ظاهرها إلى ما تقرر عندهم من المذاهب والمشارب، وطفقوا يطعنون على من عمل بفحواها الظاهر، ومبناها الباهر، كأن الدين -عندهم- هو ما جاء عن آبائهم وأسلافهم، دون ما جاء عن الله في كتابه، أو عن رسول الله ﷺ في سنته.

مع أنَّ كتاب الله العزيز سابق على وجود إمامهم ومقالاته، وسنّة رسوله ﷺ المطهرة سابقة على المجتهدات والآراء المحدثات.

وهٰذا واضح بحمد الله تعالى؛ لا يشكُّ فيه إلا جاحد يرى الشمس مظلمةً، والليلة نيرةً»[1].

وقال شيخنا حفظه الله:

«لا بد أن نبدأ بالتصفية والتربية، وأي حركة لا تقوم على هٰذا الأساس لا فائدة منها إطلاقاً.

ولكي ندلل على صحة ما نذهب إليه في هٰذا المنهج نعود إلى كتاب الله الكريم؛ ففيه آية واحدة تدل على خطأ كل من لا يتفق معنا على أن البداية تكون بالتصفية ومن ثم التربية.

---

(١) «الدين الخالص» (٣/ ٢٦١-٢٦٣).

يقول تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

هذه هي الآية المقصودة، وهي التي أجمع المفسرون على أن معنى نصر الله إنما هو العمل بأحكامه، ومن ذلك أيضاً الإيمان بالغيب الذي جعله سبحانه وتعالى الشرط الأول للمؤمنين ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣]، فإذا كان نصر الله لا يتحقق إلا بإقامة أحكامه فكيف يمكننا أن ندخل في الجهاد عملياً ونحن لم ننصر الله وفق ما اتفق عليه المفسرون؟.

كيف ندخل الجهاد وعقيدتنا خراب يباب؟ كيف نجاهد وأخلاقنا تتماشى مع الفساد؟ لا بد إذاً قبل الشروع بالجهاد من تصحيح العقيدة، وتربية النفس.

وأنا أعلم أن الأمر لن يسلم من المعارضة لمنهجنا في التصفية والتربية؛ فثمت من سيقول: إن القيام بالتصفية والتربية أمر يحتاج إلى سنين طويلة.

ولكني أقول: ليس هذا هو الهام في الأمر بل الهام أن ننفذ ما يأمرنا به ديننا وربنا العظيم، الهام أن نبدأ بمعرفة ديننا أولاً ولا يهم بعد ذلك أن يطول الطريق أو يقصر.

إنني أتوجه بكلامي إلى رجال الدعوة المسلمين، وإلى العلماء والموجهين، وأدعوهم إلى أن يكونوا على علم تام بالإسلام الصحيح، وعلى محاربة لكل غفلة أو تغافل، ولكل خلاف أو تنازع ﴿وَلَا تَنَازَعُوا

فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وحين نقضي على هٰذا التنازع وعلى هٰذه الغفلة، ونحل محلهما الصحوة والائتلاف والاتفاق نتجه إلى تحقيق القوة المادية ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]؛ فتحقيق القوة المادية أمر بديهي إذ لا بد من بناء المصانع: مصانع الأسلحة وغيرها... ولكن لا بد قبل كل شيء من العودة الصحيحة إلى الدين كما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في العقيدة، وفي العبادة، وفي السلوك، وفي كل ما يتعلق بأمور الشريعة، ولا تكاد تجد أحداً في المسلمين يقوم بهٰذا سوى السلفيين فهم الذين يضعون النقط على الحروف، وهم وحدهم ينصرون الله بما أمرهم به من تصفية وتربية توجد الإنسان المسلم الصحيح، وهم وحدهم الذين يمثلون الفرقة الناجية من النار من الفرق الثلاث والسبعين التي سئل عنها الرسول وقال: «هي في النار».

ولهٰذا أعود فأقول: ليس من طريق للخلاص سوى الكتاب والسنة، وسوى التصفية والتربية في سبيلهما، وهٰذا يستدعي المعرفة بعلم الحديث وتمييز الصحيح من الضعيف كي لا تبني أحكاماً خاطئة كتلك التي وقع بها المسلمون بكثرة بسبب اعتمادهم على الأحاديث الضعيفة.

هٰذا على صعيد العلم، فإذا انتقلنا إلى التربية وجدنا أخطاء قاتلة؛ فأخلاق المسلمين في التربية خراب يباب، ولا بد من التصفية والتربية والعودة الصحيحة إلى الإسلام، وكم يعجبني في هٰذا المقام قول أحد الدعاة الإسلاميين من غير السلفيين، ولكن أصحابه لا يعملون بهٰذا القول: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم دولته في أرضكم».

إن أكثر الدعاة المسلمين يخطئون حين يغفلون مبدأنا هٰذا، وحين يقولون: إن الوقت ليس وقت التصفية والتربية وإنما هو وقت التكتل والتجمع، إذ كيف يتحقق التكتل والخلاف قائم في الأصول وفي الفروع، إنه الضعف والتخلف الذي استشرى في المسلمين، ودواؤه الوحيد يتلخص فيما أسلفت في العودة السليمة إلى الإسلام الصحيح أو في تطبيق منهجنا في التصفية والتربية ولعل في هٰذا القدر كفاية والحمد لله رب العالمين»[١]

وليست التصفية حديثية حسب كما يتوهم أنصاف المثقفين بل مجالاتها كثيرة تشمل كل الدين من العقيدة، والحكم والتحاكم، وعلوم القرآن وتفسيره، والسنة والحديث وعلومها، والفقه وأصوله، والسلوك والتزكية، والتأريخ، والدعوة، واللغة العربية[٢]، وهٰذا ما يحققه التجديد.

٢- التجديد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله يبعث لهٰذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»**[٣].

---

(١) «حياة الألباني»، محمد إبراهيم الشيباني، (١/ ٣٨٨-٣٩١). باختصار يسير.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب الأخ الفاضل علي بن حسن الحلبي «التصفية والتربية».

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم (٤/ ٥٢٢) والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ٦١)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ١٢٣)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (١/ ١٣٧) و«مناقب الشافعي» (١/ ٥٣)، والحسن بن سفيان في «مسنده» كما في «توالي التأسيس» (ص٤٦)، والهروي في «ذم الكلام» (ق١١١/ ٢)، وابن عساكر في «تبين كذب المفتري» (ص٥١-٥٢)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (ق٤٥/ ١-٢)، والطبراني في =

هٰذا الحديث يؤكد: أن الطائفة المنصورة والفرقة الناجية تقوم بتجديد الدين، وعلماؤها يحيون ما اندرس من السنن، ويدفعون غربة الإسلام الثانية كما دفع رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم غربة الإسلام الأولى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا تزال طائفة ممتنعة من أمته على الحق أعزاء لا يضرهم المخالف ولا خلاف الخاذل، فأما بقاء الإسلام غريباً ذليلاً في الأرض كلها قبل الساعة فلا يكون.

وقوله ﷺ: «ثم يعود غريباً كما بدأ» أعظم ما تكون غربته إذا ارتد الداخلون فيه عنه، وقد قال تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ فهٰؤلاء يقيمونه إذا ارتد عنه أولئك.

وكذٰلك بدأ غريباً ولم يزل يقوى حتى انتشر، فهٰكذا يتغرب في كثير من الأمكنة والأزمنة ثم يظهر حتى يقيمه الله عز وجل؛ كما كان عمر بن عبد العزيز

= «الأوسط» (٦٥٢٧) وغيرهم من طريق ابن وهب أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن زيد المعافري عن أبي علقمة عنه به مرفوعاً.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

وقد صحح هٰذا الحديث جمع من الأئمة منهم: الإمام أحمد كما في «سير أعلام النبلاء» (٤٦/١٠)، والحاكم والذهبي كما في «فيض القدير» (٢٨٢/٢)، والحافظ ابن حجر كما في «توالي التأسيس» (ص٤٨)، ولم أر من ضعفه ممن يعتد بخلافه؛ ولذٰلك نقل السيوطي في «التنبئة فيما يبعثه الله على رأس كل مئة» (ق٢/أ) اتفاق العلماء على تصحيحه فقال: «اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح».

لما ولي قد تغرب كثير من الإسلام على كثير من الناس حتى كان منهم من لا يعرف تحريم الخمر، فاظهر الله به في الإسلام ما كان غريباً.

وفي «السنن»: «إن الله يبعث لهٰذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

والتجديد إنما يكون بعد الدّروس، وذاك هو غربة الإسلام، وهٰذا الحديث يفيد المسلم أنه لا يغتم بقلة من يعرف حقيقة الإسلام، ولا يضيق صدره بذٰلك، ولا يكون في شك من دين الإسلام؛ كما كان الأمر حين بدأ قال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] إلى غير ذٰلك من الآيات والبراهين الدالة على صحة الإسلام»[1].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال النووي: فيه أن الاجماع حجة، ثم قال: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع، وبصير بالحرب، وفقيه، ومحدث، ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد، وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً إلى أن يبقى فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله. انتهى ملخصاً مع زيادة فيه.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨/٢٩٦-٢٩٨).

ونظير ما نبه عليه ما حمل عليه بعض الأئمة حديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز؛ فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده فالشافعي وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من كان متصفاً بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا»[١].

٣- الإصلاح.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، كما بدأ، وهو يأرز[٢] بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها»[٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الاسلام غريباً، وسيعود كما بدأ؛ فطوبى للغرباء»[٤].

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٢٩٥).

(٢) يجتمع وينقبض، والمراد: يرجع إليها.

(٣) صحيح - أخرجه مسلم (١٤٦).

(٤) صحيح - أخرجه مسلم (١٤٥).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: «طوبى للغرباء» فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»(١).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء» قيل: ومن هم الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الذين يصلحون عند فساد الناس»(٢).

---

(١) حسن - أخرجه أحمد (٢/١٧٧ و٢٢٢)، وابن المبارك في «الزهد» (٧٧٥) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/٥١٧)، والآجري في «صفة الغرباء من المؤمنين» (٦و٥٢)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١٨٤)، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٨٦)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢٠٥).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٧٨): «فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف».

قلت: لا يضر ذلك؛ لأن رواية العبادلة عنه مستقيمة، وهذا الحديث رواه عنه عبد الله بن المبارك وعبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن المقري وقتيبة بن سعيد وكلهم روى عنه قبل الاختلاط. وقد صرح كذلك ابن لهيعة بالتحديث، فانتفت شبهة تدليسه؛ فالإسناد جيد.

(٢) صحيح لغيره - أخرجه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (ق٢٥/١)، والآجري في «صف الغرباء من المؤمنين» (١٥-١٦).

قلت: إسناده ضعيف؛ لأن فيه أبا إسحاق السبيعي، وهو مدلس مختلط.

لكن له شواهد كثيرة بتمامه من حديث: جابر بن عبد الله، وسهل بن سعد، وعبد الرحمن بن سنة، وسعد بن أبي وقاص.

١- حديث جابر بن عبد الله؛ فأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/٢٩٨)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢/١١٢)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢٠٠)، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف لسوء حفظه.

٢- حديث سهل بن سعد؛ فأخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/١٦٤) «الصغير» (١/١٠٤)، والقضاعي في «الشهاب» (١٠٧٥)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١/١٩٢-١٩٣)، وابن عدي =

وفي الباب: عن عمرو بن عوف، وأبي الدرداء، وأبي أمامه، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك، وسلمان، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وأبي موسى الأشعري، وبلال بن مرداس الفزاري، ومرسلاً عن بكر بن عمرو المعافري، وشريح بن عبيد، والحسن[1].

إن الغرباء قوم صالحون مصلحون يسعون لإصلاح الناس عند فسادهم، وإصلاح ما أفسد الناس، وهم قليلون بين أناس سوء كثير وهٰذه صفة الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، ولذٰلك فمنهج السلف منهج إصلاحي ليس منهجاً ثورياً أو ترقيعياً، وتقرير هٰذا من وجوه:

= في «الكامل» (٢/١٤٦٢)، وفي إسناده بكر بن سليم وهو مقبول عند المتابعة.

٣- حديث عبد الرحمٰن بن سنّة؛ فأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائده» (٤/٧٣-٧٤)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١٨٨)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/٣٥٣)، وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك؛ فالإسناد ضعيف جداً.

لكن له طريق آخر: أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/١١٦)، وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٢/٨٣) من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدثني ابن سنّة وذكره.

قلت: وهٰذا إسناد صحيح، وبه يثبت حديث عبد الرحمٰن بن سنة.

٤- حديث سعد بن أبي وقاص؛ فأخرجه أحمد (١/١٨٤)، وأبو يعلى في «المسند» (٢/٩٩)، والبزار في «كشف الأستار» (٤/٩٨)، وابن منده في «الإيمان» (ص٥٢١-٥٢٢)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (ق ٢٦/١).

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وابن سعد هو عامر كما عند البزار وابن منده.

وبهٰذا يتبين: أن الحديث بهٰذا التمام صحيح مستفيض.

(١) وقد استوفيت الكلام عليها في «الغربة والغرباء»، وانفصلت إلى تواتر أصل الحديث؛ كما ذكره أهل العلم كالسيوطي في «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» (١٤٨)، والكتاني في «نظم المتناثر» (٢٠)، والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (٢٨٧) وغيرهم.

الأول: أنهم ورثة الأنبياء، ومنهج الأنبياء تربوي إصلاحي، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وهٰذا المنهج يقوم على تزكية النفوس فهو تربوي كما بينته في كتابي «منهج الأنبياء في تزكية النفوس» فانظره.

الثاني: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٦-١١٧].

وهٰؤلاء هم الغرباء؛ كما قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «استشهاده بهٰذه الآية في هٰذا الباب يدل على رسوخه في العلم والمعرفة وفهم القرآن؛ فإن الغرباء في العالم هم أهل هٰذه الصفة المذكورة في الآية، وهم الذين أشار إليهم النبي ﷺ في قوله: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء» قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»[1].

الثالث: أن منهج النبي ﷺ إصلاحي تربوي يقوم على التعليم والتزكية كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٩٤).

الرابع: لقد بين رسول الله ﷺ أنه بعث ليصلح ما أفسد الناس ويتم ما كان صالحاً في حياتهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق**»[١].

والأخلاق هي الدين لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، وهي القرآن الكريم بشموله وكماله؛ فقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت «**كان خلقه القرآن**»[٢].

٤- التربية:

إن التصفية والتجديد والإصلاح لن تؤتي أكلها إلا بتربية المسلمين على الإسلام الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

والمراد بالتربية: بلوغ النفس البشرية كمالها المهيأ لها شيئاً فشيئاً، والمربي على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى، فهو خالق الخلق، وواهب المواهب: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١-٣].

---

(١) صحيح بشواهده - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٨١)، والحاكم (٢/ ٦١٣)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٢)، والقضاعي في «الشهاب» (١١٦٥)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق ومعاليها» (ص٢).

قلت: إسناده حسن، وله شواهد من حديث جابر موصولاً، ومرسل زيد بن أسلم، وآخر عند مالك (٢/ ٩٠٤) بلاغاً.

وبالجملة؛ فالحديث بمجموع ذلك صحيح، والله أعلم.

(٢) صحيح مسلم (٧٤٦).

وأكد هٰذا المعنى رسول الله ﷺ بقوله: «**اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها**»[1]، فمن أجل ذٰلك نسبت التربية إلى الرب؛ فقيل: التربية الربانية.

قال الراغب الأصفهاني في «المفردات»:

«والرب في الإصل التربية؛ وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، فالرب مصدر مستعار للفاعل».

قال عبد الرحمٰن الباني: «ويمكن -بعدَ هٰذا التحليل- استخلاص النتائج التالية للمعنى التربوي:

١- إن المربي الحق -على الإطلاق- هو الله تعالى؛ لأنه هو الخالق، خالق الفطرة، وواهب المواهب، وهو الذي سن سنناً لنموها وتدرجها وتفاعلها، كما أنه شرع شرعاً لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها.

٢- إن التربية لا بد أن تستضيء بنور الشريعة الإلهية، وتسير وفق أحكامها وصلاحها.

٣- إن التربية عملية هادفة لها أغراضها وأهدافها وغايتها.

٤- إن التربية تقتضي خططاً متدرجة يترتب بعضها على بعض، وينبني بعضها على بعض، فكل منها قائم على ما سبقه، يعد لما بعده.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

والأعمال التربوية والتعليمية تسير وفق ترتيب منظم صاعد ينتقل مع الناشيء من طور إلى طور، ومن مرحلة إلى مرحلة في كل شأن من الشؤون.

٥- إن عمل المربي تال وتابع لخلق الله وإيجاده، كما أنه تابع لشرع الله ودينه، وأحكامه»[١].

أقول: فهي عملية تراكمية منضبطة لها أصولها وأسسها وضوابطها.

١- الأصول الكلية للتربية الربانية:

«الأول: أن التربية يجب أن تركز على بعث عقيدة التوحيد وتطهير حياة الأمة من البدع والانحرافات كمقدمة لتأهيل الأمة لحمل الإسلام مرةً ثانية.

الثاني: أن مقياس التربية السليمة هو قيامها على أصول مستمدة من القرآن والسنة، وانسجامها مع تطبيقات السلف، وإعادة توصيل المتعلم بالقرآن والسنة دون حاجة لوسطاء في الفهم والاستنباط.

الثالث: أن التربية لا يمكن فصلها علن التوجيه العام للمجتمع، وهي ترتبط بالحياة اليومية وما يتفاعل خلالها من المعتقدات والقيم والعادات والتقاليد والممارسات الإدارية والسياسية والاجتماعية وغير ذٰلك»[٢].

٢- الأسس العامة للتربية الربانية:

أ- ربانية الغاية والوسيلة.

---

(١) «مدخل الى التربية في ضوء الإسلام» (ص١٣).

(٢) «الفكر التربوي عند ابن تيمية» (ص١٩١).

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وهٰذا يستلزم ارتباط التربية الإيمانية بالعقيدة الربانية.

قال أحمد بن ناصر الحمد:

«لما كانت التربية بناء الإنسان على ما يحقق الهدف السامي من خلقه، وكانت العقيدة هي أصول الدين إذا تأصّلت في النفوس واستقرّت في القلوب، وزرع هٰذه الأُصول وترسيخها في النفوس، هو القاعدة الصلبة، والمرتكز الأساس الذي تبنى عليه هٰذه الأهداف، وبتحققها ضمان استجابة الجوارح وانقياد الهوى كما أخبر تعالى عن ذٰلك بقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٥]، وباتباع ما يوحى والتسليم لما يقضى، يصح انقياد الهوى يقول تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، ويقول تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١-٤].

فالإيمان بالانقياد الظاهر، والطمأنينة الباطنة لأمر الله تعالى وحكمه، والعمل بحسب الأمر والنهي -رغبةً ورهبةً- هو الإيمان الحق الذي به تتربى الأمة ويعمر الكون، وبه يبلغ الخلق السعادة في الحياة الدنيا والآخرة.

كما أن ارتكاب المنهيات، وترك المأمورات دليل عدم رسوخ الأصول الإيمانية التي دعا إليها الرسول ﷺ، وحث على التمسك بها؛ حيث قد نفى صلوات الله وسلامه عليه الإيمان عن مرتكبي بعض المخالفات الدينية حال فعلها[١]؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن»[٢].

ولأهمية العقيدة في تربية الإنسان كانت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى العقيدة أولاً؛ سمواً بالروح، وتعليقاً لها ببارئها؛ لترتقي بجسم صاحبها عن ركونه إلى تحقيق رغباته المادية التي يتجه إليها بميله الفطري من غير توجيه، والتي هي طريق سهل يستغله الشيطان للخروج بالإنسان عن استقامته التي لا تحصل إلا في حالة الاعتدال في تحقيق متطلبات جسمه وروحه، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، ولا يكون في تحقيق رغبة إحداهما ما يلحق ضرراً بالآخر.

---

(١) والمراد: نفي كمال الإيمان لا أصله خلافاً للخوارج ومن شابههم من أفراخهم في هذا العصر؛ كما بسطته في مقدمتي لـ «تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمٰن» (ص٢٢-٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٧٨) ومسلم (٥٧).

فجاءت الشرائع السماوية بإحلال الطيبات وتحريم الخبائث، لئلا يكون في متعة البدن وتحقيق مطالبه ما ينعكس على الروح بالضرر.

فهٰذه التوجيهات فيها مراعاة الروح وجعلها عنصراً ذا قيمة يسمو بالبدن ويرتفع به عن البهيمية؛ ففي أنواع العبادة كلها حياتها؛ فهي غذاؤها ونماؤها، كما لا تخلو من جانب جسدي في غالبها.

ولأهمية هٰذا الاعتدال في تحقيق الإنسان رسالته في الحياة جاء الوحي ببيان الطريق الصحيح في هٰذا.

قال تعالى حاكياً قول موسى لقارون: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروها كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبيّ ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؛ أما والله إنّي لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[1].

---

(١) صحيح رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هٰذا المعنى كثيرة جدا؛ وفيها الدلالة على أهمية الاعتدال في تنمية الروح والبدن، وكونه من التكليف؛ لما في العدول عنه من تغير الهدف الذي خلق الخلق له، فكانت سنة الهادي البشير عليه الصلاة والسلام تدعو إلى ذٰلك التوازن؛ لأن فيه يتحقق القوة الحسية والمعنوية؛ ولا بد لأحدهما من الآخر.

ولأهمية العقيدة في تربية الأمة طالت دعوة الهادي البشير عليه الصلاة والسلام إلى غرسها وترسيخها في النفوس أول الأمر، ففي العهد المكي -ثلاثة عشر عاماً- كانت الدعوة إلى تحقيق العبادة لله وحده، ونبذ عبادة ما سواه، والعمل على ما يقوي هٰذا الجانب.

واستمرت الدعوة إليها ملازمة الدعوة إلى الشريعة طيلة نزول الوحي على الرسول ﷺ، وما ذٰلك إلا لأنها الأصل في كل عمل، وهي المؤثر الأساسي في حسنه وقوته، فالتعليمات إذا نبع تطبيقها من عقائد النفوس كان رقيبها الذات، وإذا تحقق هٰذا جاءت الأعمال على وجه الكمال.

فالتربية عديمة الجذور تذوي بسرعة، وتجتاحها أخف الرياح، وأقل الأمطار، كما أن البناء المقام على أرضية رخوة ينهار لأدنى عامل مضاد.

وهٰذا مشاهد في كلّ تربية وتعليم بنيا على أمور باطلة، او غير ملائمة للإنسان في تكوينه، لصدورها ممن لا يعلم حقيقة هٰذا المخلوق المتميز عن سائر الخلق، لٰكن من يتربى تربيّة صحيحةً تخالط كيانه، وتطابق فطرته، وتوافق عقله الصريح، تظهر قوته بصورة لا تقارن بقواه المادية؛ يشير إلى هٰذا

قولُهُ تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]؛ فالإنسان حامل الأمانة هو المخلوق المبتلى أيه أحسن عملاً؛ كما قال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

وحسن العمل في الإخلاص والاتباع، وبهما تظهر قيمة الحياة، ويعمر الكون: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

فالحياة الطيبة، وحصول الثواب هما نتيجة لأداء الأمانة على الوجه الصحيح.

وقد جعل الحكيم العليم في هٰذا المخلوق إذا استقام على الطريق الذي أمره تعالى به تلك القدرة على مالا تستطيعه الجمادات الضخمة، وما ذاك إلا نتيجة استشعار العظمة الإلهية، ووقورها في نفسه، والأمر الذي تهون بمقابله كل القوى حتى لو أتت على حياة البدن.

صورة هٰذا يحكيها موقف من صحابة رسول الله ﷺ قبل عزم الرسول ﷺ على قتال المشركين من قريش في بدر حين أراد استطلاع موقف الأنصار رضي الله عنهم وهم من لم ينلهم أذى مشركي مكة كالمهاجرين ثم إن جملتهم حديثو عهد بالإسلام بالنسبة للمهاجرين، كما أنهم لم يبايعوا رسول الله ﷺ على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدو، وإنما بايعهم على أن يمنعوه ممن يقصده، لٰكن سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه جلى موقفهم من

رسول الله ﷺ بما يفصح عن تأثير التربية الإسلامية التي غرسها المصطفى ﷺ في نفوسهم بما يؤكد أنهم لا ينحرفون عن أي مسير ساره قائدهم، ولا يحيدون عن أمره ﷺ مهما كان»[1].

ب- ليس لها وسائل خاصة بها عن مجموع شعائر الإسلام.

لما كان مقرراً في أصول المنهج الرباني بفهم سلف الأمة الصالح: أن الذي شرع الغاية لم ينس الوسيلة لذلك فالتربية الربانية ليس لها أعمال خاصة بها أو طقوس تتعلق بصفتها دون شعائر الإسلام.

إن الطريق المؤدي إلى التربية الربانية والتزكية الإيمانية هو العبادة وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

ت- موافقتها للفطرة البشرية.

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠] وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»[2] ولذلك فالتربية الربانية تقوم على استعداد النفس البشرية للترويض والتربية، ولذلك أقسم الله على هذا الأساس المتين من

---

(١) «العقيدة نبع التربية» (ص٢٩-٣٧) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

فاتحة سورة الشمس إلى قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]، ومن ثم تقوم التربية الربانية على المحافظة على فطرة الإنسان ورعايتها، ومن ذٰلك الأمر بخصال الفطرة العشر، وتحريم تغيير خلق الله لأن ذٰلك إفساد للفطرة، ومن ثم تنمية مواهب الإنسان واستعداداته كلها، ثم توجيه ذٰلك كله نحو كمالها المهيأ لها.

ث- تقديم تصورات واضحة عن الله والكون والحياة.

وهٰذا الأساس يقوم على ركنين هامين:

الأول: عرض هٰذه التصورات عرضاً مقنعاً.

الآخر: ربط هٰذه التصورات بحركة الانسان وتحويلها إلى قوة دافعة لتحقيق مقتضيات خلافة الإنسان في الأرض على منهاج الله الذي بينه رسول الله ﷺ.

٣- ضوابط التربية الربانية:

أ- توحيد مصدر التلقي؛ لأن ذٰلك عصمة من الضلال وأمان من الزيغ؛ كما قال رسول الله ﷺ: **«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي»**[1].

---

(١) صحيح بشواهده - أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٩) معضلاً.

وله شواهد كثيره يتقوى بها.

١- حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٤)، و«دلائل النبوة» (٥/ ٤٤٩)، والحاكم (١/ ٩٣)، وابن نصر في «السنة» (ص٢١)، وابن حزم في =

ب- تصفية مصدر التلقي مما شابه؛ فعكر روائه، وخالطه؛ فشوه جماله.

وذلك للارتباط الوثيق بين التصفية والتربية؛ فهما مهمتا الرسل: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ولا تتم التزكية إلا بالتربية؛ ولا تتم التصفية إلا بالعلم.

ت- التلقي للتنفيذ والتطبيق كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كنا نتعلم العشر آيات لا نتجاوزها حتى نعمل بها»[(١)].

وقال أبو عبد الرحمٰن السلميُّ: «إنا أخذنا هٰذا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما

= «الإحكام» (٦/ ٨٢) من طريق أبي أويس حدثني أبي عن ثور بن زيد الديلي عن عكرمه عنه به مرفوعاً.

قلت: إسناده حسن رجاله ثقات غير أبي أويس؛ ففيه ضعف لا ينحط حديثه عن درجة الحسن.

٢- مرسل عروة بن الزبير: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٤٨) وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

٣- مرسل موسى بن عقبه: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٤٨).

وورد من أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وكثير بن عبد الله عن أبيه عن جده وأسانيدها مظلمة لا يفرح بها، وقد فصلت القول فيها في كتابي «السنة بين أعدائها واتباعها» يسر الله نشره بخير.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري وإسناده صحيح.

فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعملَ به، وإنه سيرث القُرآن بعدنا قوم ليشربونه شرب الماء، لا يجاوز تراقيهم، بل لا يجاوز هاهنا - ووضع يده على الحلق»(١).

ث- أن يكون المربي عالماً ربانياً.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً ولكن بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(٢).

قال الإمام ابن قيم الجوزية:

«قال ابن عباس رضي الله عنهما: «العالم الرباني هو المعلم» أخذه من التربية؛ أي: يربي الناس بالعلم، ويربيهم به كما يربي الطفل أبوه.

وقال سعيد بن جبير: هو الفقيه العليم الحكيم.

قال سيبويه: زادوا ألفاً ونوناً في الرباني إذا أرادوا تخصيصاً بعلم الرب تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ١٧٢) بإسناد صحيح.

(٢) مضى تخريجه (ص٣١-٣٢).

ومعنى قول سيبويه رحمه الله: أن هٰذا العالم لما نسب إلى علم الرب تعالى الذي بعث به رسوله، وتخصص به: نسب إليه دون سائر من علم علماً.

قال الواحدي: فالرباني منسوب إلى الرب على معنى التخصيص بعلم الرب؛ أي: يعلم الشريعة وصفات الرب تبارك وتعالى.

وقال المبرد: الرباني الذي يرب العلم، ويرب الناس به، أي: يعلمهم ويصلحهم.

وعلى قوله فالرباني من (ربَّ يَرُبُّ ربّاً)؛ أي: يربيه، فهو منسوب إلى التربية؛ يربي علمه ليكمل ويتم بقيامه عليه وتعاهده إياه، كما يربي صاحب المال ماله، ويربي الناس به كما يربي الأطفال أولياؤهم.

فالعالم الرباني هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل، ولا منزلة فوق منزلته لمجتهد.

وقد دخل في الوصف له بأنه رباني وصفه بالصفات التي يقتضيها العلم لأهله، ويمنع وصفه بما خالفها.

ومعنى الرباني في اللغة: الرفيع الدرجة في العلم، العالي المنزلة فيه، وعلى ذٰلك حملوا قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾ [المائدة: ٦٣]، وقوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال ابن عباس: حكماء فقهاء.

وقال أبو رزين: فقهاء علماء.

وقال أبو عمر الزاهد: سألتُ ثعلباً عن هٰذا الحرف -وهو الرباني-؟ فقال: سألت ابن الاعرابي فقال: إذا كان الرجل عالماً عاملاً معلماً قيل له: هٰذا رباني، فإن خرم عن خصلة منها لم تقل له: رباني»[١].

جـ- التدرج في التربية.

ولذٰلك فسر بعض أهل العلم الربانيين بأنهم «هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره»[٢].

قال ابن قيم الجوزية منبهاً على قول رسول الله ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء»[٣] فقال: «فيه تنبيه لأهل العلم على تربية الأمة كما يربي الوالد ولده؛ فيربونهم بالتدريج والترقي من صغار العلم إلى كباره، وتحميلهم منه ما يطيقون، كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصاله الغذاء إليه؛ فإن أرواح البشر بالنسبة إلى الأنبياء والرسل كالأطفال بالنسبة إلى آبائهم، بل دون هٰذه النسبة بكثير، ولهٰذا كل روح لم يربها الرسل لم تفلح ولم تصلح لصالحة؛ كما قيل:

ومن لا يربيه الرسول ويسقه لباناً له قد درَّ مِن ثدي قدسه

فذاك لقيط ما له نسبة الولا ولا يتعدى طور أبناء جنسه»[٤]

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٤٢).

(٢) «صحيح البخاري»(١/ ١٦٢ - فتح).

(٣) مضى تخريجه (ص٣٣).

(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٦٣).

حـ- ربط المُرَبّى بالله ورسوله وليس بالأشخاص أو الشيوخ أو الأحزاب أو اليافطات أو الشعارات؛ ليكون تلقي خطاب الشرع سليماً؛ فيثمر عملاً مستقيماً؛ ليعظم الربَّ تبارك وتعالى، ويتبع النبي الأميّ ﷺ.

ولذلك نعى الله سبحانه وتعالى على الذين أفسدوا هذا الضابط بقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

خـ- تعاهد المربى ومتابعته وتقويم سلوكه؛ كما في سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣]، وسورة البلد: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ [البلد: ١٧، ١٨].

الباب التاسع

منهج السلف والمخرج من المحنة

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»**[1].

---

(١) حسن لغيره - وله عن ابن عمر رضي الله عنهما طرق:

الأولى: من طريق حَيْوَةَ بن شريح عن أبي عبد الرحمٰن الخراساني عن عطاء أنه أخبره أن نافعاً حدَّثه عن ابن عمر (وذكره): أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبيهقي (٥/٣١٦)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٢/٦٥)، وابن عدي في «الكامل» (٥/١٩٩٨)،

قلت: وسنده ضعيف، وفيه علتان:

الأولى: أبو عبد الرحمٰن الخراساني؛ واسمه إسحاق بن أسيد، وهو ضعيف.

الثانية: عطاء، وهو ابن أبي مسلم الخراساني؛ قال الحافظ: «صدوق يهم كثيراً، ويرسل، ويدلس».

ولكننا أمنّا تدليسه هنا؛ لأنه صرح بالتحديث. =

. . . .

= قال البيهقي: «وروي ذلك من وجهين ضعيفين عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر».

قلت: يشير إلى الطريق الثانية: من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر (فذكره): أخرجه أحمد (٢/ ٢٨)، وأبو أمية الطرسوسي في «مسند ابن عمر» (٢٢)، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٨٣).

قلت: هذا إسناد ضعيف لانقطاعه؛ فإن عطاء بن أبي رباح لم يسمع من ابن عمر؛ كما قال أحمد بن حنبل، وأخرجه ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص١٢٦)، وانظر «جامع التحصيل» للعلائي (ص٢٣٧) و«التهذيب» لابن حجر (٧/ ٢٠٣).

وتعقَّبَ ابنُ التركماني البيهقيَّ قائلاً: ذكره ابن القطان من وجه صحيح عن عطاء عن ابن عمر؛ فقال: نقلت من كتاب «الزهد» لأحمد بن حنبل قال: ثنا الأسود بن عامر ثنا أبو بكر هو ابن عياش عن الأعمش عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر (وذكره).

ثمَّ قال: ثمَّ صححه -أعني: ابن القطان- وقال: هذا الإسنادُ كلُّ رجاله ثقات.

وقال الحافظ ابن حجر في «بلوغ المرام» (٣/ ٤١ - سبل السلام): «ورجاله ثقات، وصححه ابن القطان».

ولكنّه تَعَقَّبَ ابن القطان في «التلخيص الحبير» (٣/ ١٩) فقال: «وعندي أنَّ إسناد الحديث الذي صححه ابن القطان معلول، لأنّه لا يلزم من كون رجاله ثقات أن يكون صحيحاً، لأنَّ الأعمش مدلس ولم يذكر سماعه من عطاء، وعطاء يحتمل أن يكون هو عطاء الخراساني، فيكون فيه تدليس التسوية بإسقاط نافع بين عطاء وابن عمر، فرجع الحديث إلى الإسناد الأوّل وهو المشهور».

قلت: غفل ابن القطان رحمه الله عن علّته؛ فصححه، وكذلك فعل أبو الأشبال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «شرحه وتخريجه للمسند» (٤٨٢٥).

وأبعد الحافظ ابن حجر رحمه الله النجعة للوجوه الآتية:

أ- هو الذي جعل الأعمش في الطبقة الثانية من المدلسين، وهم الذين احتمل أئمّة الحديث تدليسهم.

ب- روى الأعمش أحاديث بلفظ «عن» في «الصحيحين».

ت- لم يصف أمام متقدم الأعمش بتدليس التسوية.

= ث- تدليس التسوية يسقط الضعفاء، ونافع ليس كذلك.

جـ- عطاء هو ابن أبي رباح وليس عطاء الخراساني كما جاء صريحاً عند أحمد والطبراني.

حـ- غفل الحافظ عن علّته الحقيقيّة وهي الانقطاع بين عطاء وابن عمر، ولِكُلِّ جَوادٍ كبوة بل كبوات.

أما الوجه الثاني الذي أشار إليه البيهقي؛ فهو من طريق ليث عن عبد الملك عن عطاء قال: قال ابن عمر: أتى علينا زمان وما نرى أنَّ أحدنا أحَقُّ بالدنانير والدراهم من أخيه المسلم حتى كان هاهنا بأَخَرَةٍ أصبح الدنانير والدراهم أحَبَّ إلى أحدنا من أخيه المسلم وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (وذكره): أخرجه أبو يعلى (٥٦٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٨٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٣ - ٣١٤ و٣/ ٣١٩).

قلت: وإسناده ضعيف، لأجل ليث وهو ابن أبي سليم؛ فإنّه مدلس ومختلط.

الثالثة: من طريق أبي جناب يحيى بن أبي حيّة عن شهر بن حوشب عن ابن عمر عن النّبي ﷺ (وذكره): أخرجه أحمد (٢/ ٤٢ و٨٤).

قلت: وإسناده ضعيف؛ لضعف أبي جناب وشهر بن حوشب.

وللحديث شاهد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٥٥) من طريق بشير بن زياد الخراساني ثنا ابن جريج عن عطاء عن جابر: كنا في زمان وما يرى أحدنا أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم وبالله الذي لا إله إلاّ هو لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (وذكره).

ثم قال ابن عدي: «وبشير بن زياد هٰذا ليس بالمعروف إلاّ أنّ يروي عنه المعروفون مالا يتابعه أحدٌ عليه».

قلت: وعلى الجملة؛ فالحديث حسن بطرقه وشواهده، والله أعلى وأعلم.

وقد صححه ابن القطان في «الوهم والإيهام» (٢/ ١٥١/ ٢)، وحسنه شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٣٠) فقال: «وقد روى أحمد وأبو داود بإسنادين جيدين عن ابن عمر: وذكره»، وابن قيم الجوزية في «الداء والدواء» (ص٧٤)، والحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٥٦)، والشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «شرح المسند» (٤٨٢٥)، وشيخنا حفظه الله

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال ونحن جلوس على بساط: «**إنها ستكون فتنة**» قالوا: وكيف نفعل يا رسول الله؟ فرد يده إلى البساط فأمسك به فقال: «**تفعلون هٰكذا**» وذكر لهم رسول الله يوماً «**أنها ستكون فتنة**» فلم يسمعه كثير من الناس، فقال معاذ بن جبل: ألا تسمعون ما يقول رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ما قال: قال: «**إنها ستكون فتنة**» فقالوا: فكيف لنا يا رسول الله؟ وكيف نصنع؟ قال: «**ترجعون إلى أمركم الأول**»[1].

١- إن التمسك بالكتاب والسنة باطناً وظاهراً باب النصر ومفتاحه، وإن الإعراض ولو عن جزء من ذٰلك قد يكون سبباً مباشراً للذل والهزيمة وخور العزيمة.

= في «الصحيحة» (١١)، وقال: «وقد تنطع بعض المعاصرين ممن لم يتقن هٰذا العلم وقواعده؛ فانتقد تصحيحي لهٰذا الحديث لمجموع طرقه ببيانه لعلل مفرداتها، فكأنه لا يؤمن بقاعدة تقوية الحديث بالطرق... ولم يصنع شيئاً سوى بيان ضعف المفردات كما ذكرت مما لا يعجز عنه كل مبتدىء في هٰذا العلم، ولم يتعرض للجواب عن القاعدة المذكورة ألبته، فوقع لجهله بهٰذا العلم في مخالفة من ذكرنا من العلماء وغيرهم».

(١) صحيح - أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٣٠٧)، و«الأوسط» (٨٦٧٩) من طريق عبد الله ابن صالح حدثني الليث عن عباس بن عباس العتباني عن بكير بن عبد الله بن الأشج أن بسر بن سعيد حدثه أن أبا واقد الليثي وذكره.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٠٣/٧): «وفيه عبد الله بن صالح، وقد وثق وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح».

قلت: لم ينفرد به بل تابعه يحيى بن عبد الله بن بكير عند الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١١٨٤) وهو ثقة؛ فالحديث صحيح، ولله الحمد من قبل ومن بعد. =

عن جبير بن نفير قال: «لما فُتحت قبرص فُرِّق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، ورأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعزَّ اللهُ فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على اللهِ إذا هم تركوا أمره بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى»[1].

فإذا انهزم المسلمون وأصابهم الذل ووقعوا في الفتنة فعليهم أن يتهموا أنفسهم ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فهٰذه سنة الله أن لا يسلب قوماً نعمة أنعم بها عليهم إلا إذا أعرضوا وغيروا ما منّ به عليهم من إيمان وهداية وخير، وكذلك لا ينزع عنهم الذل إلا إذا غيروا ما بأنفسهم.

وهٰذه السنة الربانية حق واقع ماله من دافع؛ فإن من يعجز عن تغيير نفسه فلن يستطيع أن يُغَيِّرَ أمته.

ولذلك فإن التغيير يبدأ من النفس، ولا يكون ذلك إلا بالتربية الربانية الحقة والالتزام الصادق والرجوع الأمين إلى دين الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٧٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/٢١٦-٢١٧) بإسناد صحيح.

٢- إن الرجوع إلى الدين الوارد في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يعني الرجوع إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها ومالم يكن يومئذٍ دينا فليس اليوم دين، ولذلك نبه رسول الله ﷺ إلى المخرج من المحنه، وأنه الرجوع إلى الأمر الأول؛ كما في حديث أبي واقد الليثي.

٣- وهكذا تبين لنا أننا مأمورون أن نتعامل مع سنن الله في التغيير، وإن كنا لا نفتر عن التطلع إلى رحمة الله في كل لحظة.

تلك السنن التي صرح بها القوي العزيز في كتابه الحكيم: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]؛ ليشد أنظارنا إلى حقيقتين هامتين، وركيزتين أساسيتين لنصره سبحانه وتعالى:

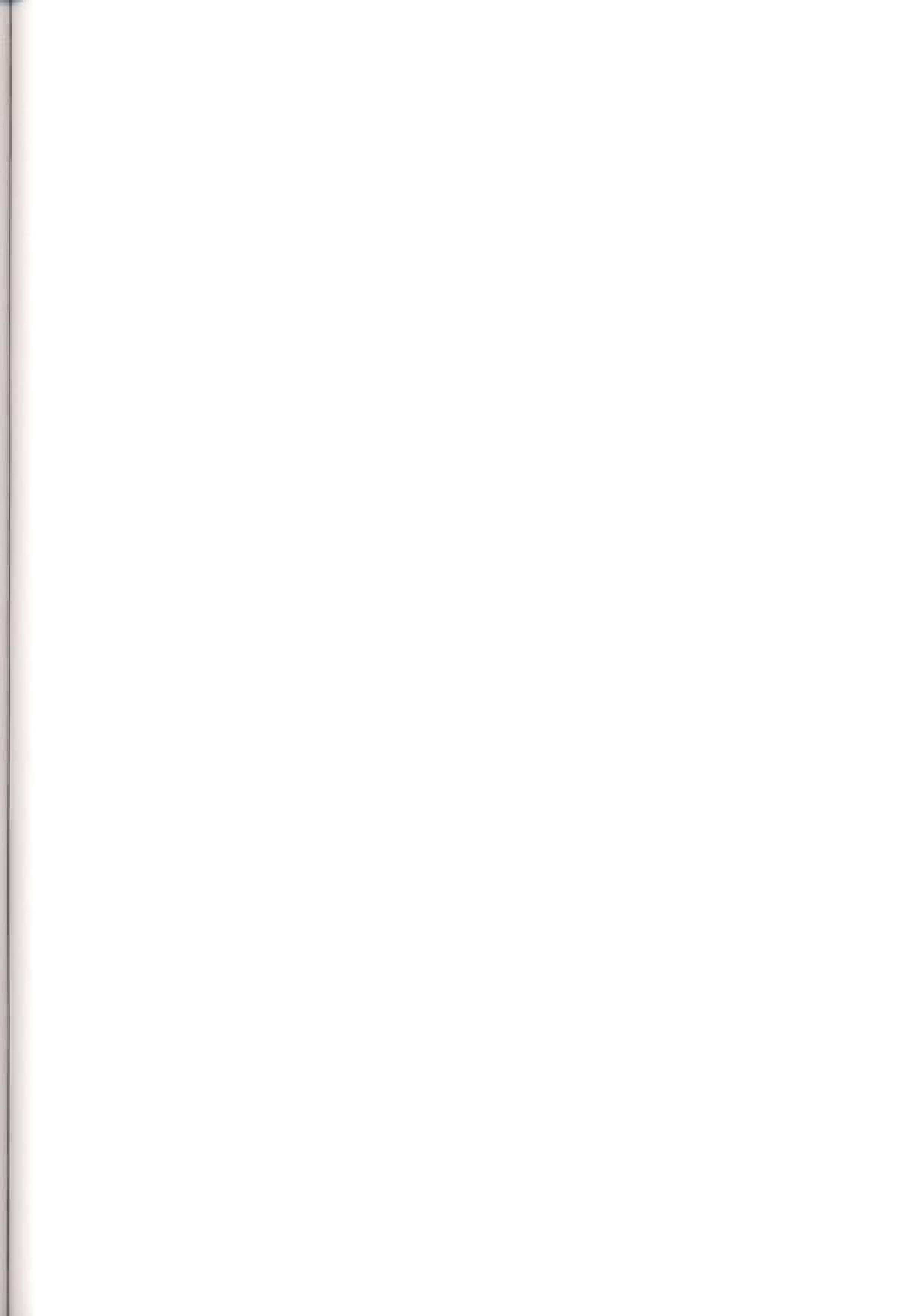
الأولى: أنه لا بد من وجود مؤمنين مجاهدين، يكونون ستاراً لقدرة الله في الأرض.

والأخرى: لا بد لأولئك المؤمنين أن يعدوا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

عندئذ يأتي النصر والتمكين والتثبيت... لا عجزاً من الله سبحانه أن ينصر دينه بغير جهد بشري، ولكن هكذا جرت سنته سبحانه: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وهٰذه السنن التي نحن مأمورون بالتعامل معها، تنص على وجوب إقامة الأمة المسلمة، ثمَّ نتوقع التمكين في الأرضِ بعد جهد وجهاد، وصبر ومصابرة ومراطبة، ولن يستقيم هٰذا كله إلا على منهج السلف الصالح؛ لأنه المنقذ من الفتنة، والمخرج من المحنة، والذي سيحقق الله به لهٰذه الأمة الأمل المنشود في الاستخلاف والتمكين في الأرض؛ لإقامة شريعة الله، وتطبيق حكمه بين العباد، وتحقيق العبودية لرب العالمين.

وهٰذا ما يوضحه الباب الأخير.



الباب الأخير
منهج السلف ومستقبل البشرية

قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

وقال عز شأنه: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨، ٩].

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كنا قعوداً في المسجد -وكان بشير رجلاً يكف حديثه- فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة قال رسول الله ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً**[1]

(١) وراثياً يتكادمون عليه تكادم الحمير؛ كما في حديث ابن عباس.

فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً[1] فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي وراء الحجر والشجر؛ فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هٰذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد[3]، فانه من شجر اليهود»[4].

---

(١) قهرياً يسوق الناس بعصاه يملأ الدنيا جوراً وظلماً.

(٢) صحيح لغيره -أخرجه أبو داود والطيالسي (٤٣٨)، ومن طريقه أحمد (٤/ ٢٧٣) واللفظ له، والعراقي في «محجة القرب إلى محبة العرب» (ق ١٧/ب)، والبزار (١٥٨٨ -كشف الاستار) من طريق داود بن إبراهيم عن حبيب بن سالم عنه به.

قال العراقي: «هٰذا حديث صحيح».

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٨٩): «ورجاله ثقات».

قلت: في حبيب بن سالم كلام؛ فقد قال البخاري «فيه نظر»، ووثقه أبو حاتم وأبو داود وابن حبان وأخرج له مسلم وأصحاب السنن، وقال الحافظ في «التقريب»: «لابأس به»؛ فحديثه لا ينحط عن درجة الحسن.

وله شاهد من حديث ابن عباس بنحوه: أخرجه الطبراني في «الكبير (١١١٣٨).

قال الهيثمي (٥/ ١٩٠): «ورجاله ثقات»

قلت: بالجملة؛ فالحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٣) نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، انقذها الله من رجس يهود، وأعادها إلى المسلمين، ونصرهم نصراً عزيزاً.

(٤) صحيح - أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) واللفظ له.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لتقاتلن اليهود، فَلتَقْتُلَنَّهم حتى يقول الحجر: يا مسلم، هٰذا يهودي، فتعال فاقتله»[١].

الآيات الواردة في هذا الباب والأحاديث تؤكد أن المستقبل للإسلام: نقلاً، وفطرة، وعقلاً، وواقعاً، وتجربة، وقدراً.

أما النقل؛ فآيات القرآن الدالة على ظهور الاسلام على الأديان كلها أوردناها في صدر الباب.

وأحاديث الرسول ﷺ؛ فمتواترة منها:

١- حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى[٢] لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين[٣] الأحمر والأبيض»[٤].

٢- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار[٥] حتى تعبد اللاتُ والعزّى» فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن[٦] حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبه: ٣٣، والصف: ٩] أن ذٰلك تاماً. قال:

---

(١) صحيح - أخرجه البخاري (٢٩٢٥)، ومسلم (٢٩٢١) واللفظ له.

(٢) ضم وجمع.

(٣) الذهب والفضة، والمراد: ملك فارس والروم.

(٤) صحيح - أخرجه مسلم (٢٨٨٩)، وله شاهد من حديث شداد بن أوس عند أحمد (٤/ ١٢٣).

(٥) لا ينقطع الزمان.

(٦) الظن هنا بمعنى اليقين والاعتقاد الجازم.

«إنه سيكون من ذٰلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فتَوَفّى[١] كلَّ من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون على دين آبائهم»[٢].

٣- حديث تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هٰذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر[٣] ولا وبر[٤] إلا أدخله الله هٰذا الدين؛ بعزِّ عزيز، أو بِذُلِّ ذليلٍ؛ عزاً يُعزّ الله به الإسلام، وذلاً يُذل به الكفر»[٥].

وكان تميم يقول: وقد عرفت ذٰلك في أهل بيتي؛ لقد أصاب من أسلم منهم الخَيْرُ والشَّرَفُ والعِزُّ، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذُلُّ والصَّغارُ والجزيةُ.

هٰذه الأحاديث تفسر الآيات الكريمة، فعلى معناه الواسع الشامل ينبغي فهم كلام الله سبحانه وتعالى بأن الإسلام سيسيطر على جميع الكرة الأرضية، ويبلغ جميع الناس في باديتهم وحاضرتهم.

---

(١) تأخذ الأنفس وافية تامة.

(٢) صحيح - أخرجه مسلم (٢٩٠٧).

(٣) طين.

(٤) بيت شعر.

(٥) صحيح -أخرجه أحمد (٤/١٠٣)، والحاكم (٤/ ٤٣٠-٤٣١) وغيرهم
قلت: إسناده صحيح على شرط مسلم.
وله شواهد من حديث المقداد بن الأسود، وأبي ثعلبة الخشني رضي الله عنهم.

ولا يظن ظان أن ذٰلك قد تحقق في عهده ﷺ وفي زمن الخلفاء الراشدين وملوك المسلمين الصالحين.

ولٰكن مما لا شك فيه أن ظهور الدين وانتشاره اتسع في زمانهم وإنما الحديث عن التمام ولا يكون تمام وكمال إلا بالسيطرة على مشارق الأرض ومغاربها كما أخبرنا الصادق المصدوق، وإن ذٰلك واقع لا محالة، وأت لا ريب فيه، وكأني أنظر إلى خيول المسلمين تدك سنابكها بلاد الفرنجة والعجم كما أخبر بذٰلك الصادق الصدوق.

عن أبي قبيل؛ قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق؛ قال: فأخرج منه كتاباً؛ قال: فقال عبد الله بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب؛ إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولا: أقسطنطينيه أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: **«مدينة هرقل تفتح أولاً»** يعني قسطنطنية[١].

وقد تحقق فتح القسطنطينية الأول على يد الخليفة العثماني المسلم محمد الفاتح وسيتحقق الفتح الثاني لا محالة بإذن الله كما أخبر بذٰلك الصادق الأمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **«سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟»** قالوا: نعم يا رسول الله. قال:

---

(١) صحيح - أخرجه أحمد (٢/١٧٦)، والدارمي (١/١٢٦)، والحاكم (٤/٤٢٢ و٥٠٨ و٥٥٥) وغيرهم.

قلت: صححه الحاكم ووافقه الذهبي وشيخنا في «الصحيحة» (٤).

«لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق[١] فإذا جاؤوها فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إلٰه الا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إلٰه إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرَّج لهم فيدخلوها؛ فيغنموا، فبينما هم يقتسمون الغنائم، إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»[٢].

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: «فتح القسطنطينية المبشر به في هٰذا الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد يعلمه الله عز وجل، وهو الفتح الصحيح لها حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هٰذا فإنه كان تمهيداً للفتح الأعظم، ثم هي خرجت بعد ذٰلك من أيدي المسلمين منذ أعلنت حكومتهم أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية وعاهدت الكفار أعداء الإسلام، وحكمت أمتها بالقوانين الوثنية الكافره، وسيعود الفتح الاسلامي لها إن شاء الله كما بشر به رسول الله ﷺ»[٣].

وقال شيخنا حفظه الله: «وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني كما هو معروف وذٰلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ بالفتح وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى ولا بد، ولتعلمن نبأه بعد حين.

---

(١) هم مسلمة الروم؛ كما بينته بالأدلة القاطعة في: «الجماعات الاسلامية في ضوء الكتاب والسنة فهم سلف الأمة» (ص٥٤-٥٥)، وفيه دليل على انتشار الاسلام في أوروبة ودخول كثير من أهلها في الإسلام بإذن الله.

(٢) صحيح - أخرجه مسلم (٢٩٢٠).

(٣) «شرح المسند» (١٨/ ١٠٣).

ولا شك أيضاً أن تحقيق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة»[١].

وهٰذا كله لا يدع مجالاً للشك في أن المستقبل لدين الله بإذنه وتوفيقه[٢].

وأما الفطرة؛ فإن البشرية تعاني خواء مريراً في حياتها وفي روحها ويلفح وجهها هجير محرق؛ لأنها ابتعدت عن الظل الوارف الندي؛ فكان حتماً مقضياً أن تجد الشقاق، والقلق، والخور، والحرمان.

ولذلك فإن البشرية تحتاج منهجاً يتنفذها، ويعيد الإنسان ليتناسق مع هٰذا لعالم الذي يعيش فيه، ويؤسس مجتمعاً أفراده إخوة في الله روابطهم ربانية؛ تشدهم بعضهم إلى بعض، وتحفظ كيانهم من نذر السوء.

---

(١) «الصحيحة» (١/ ٣٣).

(٢) فإن قال بعض الذين في قلوبهم مرض هٰذا خيال حالم قلنا: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ولقد ترك لنا رسول الله ﷺ أدلة وشواهد نزداد بها ثباتاً، ونرسخ يقيناً، منها:

أن النبي ﷺ بشر بفتح بعض البلاد وسماها؛ ففتحت كما أخبر به ﷺ كمصر فقال: «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فاحسنوا الى أهلها خيراً؛ فإن لهم ذمة ورحماً»[أ]. وبشر بفتح اليمن والشام والعراق فقال: «تفتح اليمن فيأتي قوم يبسّون، فيحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[ب].

وقد فتحت مصر واليمن والشام والعراق كما أخبر الصادق المصدوق على الرغم من تشكيك المنافقين في عصر النبوة، وقياساً عليه سيتحقق ما وعد به رسول الله ﷺ من انتشار الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها وسيطرته على الدين كله، ولو كره المشركون وشكك الخراصون.

. . . .

(أ) صحيح - أخرجه مسلم (٢٥٤٣) (٢٢٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(ب) صحيح - أخرجه البخاري (١٨٧٥) ومسلم (١٣٨٨).

ولن تجد البشرية نفسها أو تبصر الصراط المستقيم إلا إذا رجعت الى منهج ربها الذي يعيدها إلى فطرتها؛ لأنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

والفطرة ثابتة والدين الذي ارتضاه الله لخلقه ثابت، وبهٰذا ترتبط فطرة الله بمنهج الله في حقيقته واتجاهه؛ لتسعد البشرية وتجد الخير، والبرَّ، والأمن، والسعاده، والطمأنينة، فمن وفّى وُفِّي له، ومن لا فلا.

وأما العقل والواقع والتَّجربة؛ فإن المدنية المادية الوثنية أصبحت عاجزة عن الحركة أمام النكبات التي أحدثتها، وأمام الفقر الروحي المدقع الذي أوجدته، حتى إن البشرية كلها جماعات وأفراداً، شعوباً وحكاماً، باتوا يفكرون في نذر السوء المحدقة بهم؛ فلقد شعروا بالجريمة التي حاكت خيوطها المدنية الوثنية، فأصبحوا يعانون من صراعات متعددة، وإحباطات متنوعة، وأخذت الهتافات الكثيرة المنبعثة من القلوب الحائرة، المرتفعة من الحناجر المرهقة التي أضناها السُّرى في بيداء جاهلية بني الأصفر، فراحوا ينشدون السبيل والسلسبيل عساهم يجدون مخرجاً أو يقعون على واحه خصبة وارفة الظلال ندية النسيم، رقراقة النبع.

لقد تحدث كثير من مفكري الغرب عن بواد انهيار مدنيتهم، ولٰكن كل واحد منهم يرصد الأمر من زاوية نظره، ويحيك في خياله أشكالاً وملامح لطبيعة هٰذا المخلص الذي ينقب عنه ويصبو إليه... وَيُقِرُّ أمثلهم طريقة أن

الإسلام آت لا مفر منه ومنتشر لا شك فيه؛ كما قال جورج برناردشو: «لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً لدى أوروبة غداً، -وهو قد بدأ مقبولاً اليوم.

وأما أنا فأرى أن يدعى محمد منقذ الإنسانية، وإن رجلاً مثله إذا تولى زعامة العالم الحديث نجح في حل مشاكله، وَأَصّل في العالم السلام والسعادة».

وهٰكذا تتوالى شهادة قادة الفكر الغربي وساسته على أن المستقبل للإسلام وحده... ومع ذٰلك فهم لا يتجهون إلى الإسلام بل يحاربونه؛ ليطفئوا نور الله على الرغم من أنهم يعلمون أنه الحق: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانعام: ٢٠].

وهٰذا لحكمة ربانية بالغة في ظهور صدق كلام الله ورسوله: أن تمام هٰذا الدين وسيطرته سيكون رغم أنوف الكفره الفجرة، وتأمل قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وتدبر قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

وأما قدراً؛ فإن الأرض ملئت ظلماً وجوراً ولذٰلك فإنها ستملأ عدلاً ونوراً؛ كما قدّر الله سبحانه وتعالى وأخبر بذٰلك رسوله ﷺ في أحاديث المهدي المتواترة: «يملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1].

---

(١) وقد صرح بتواترها جمع من أهل العلم؛ كالإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (ص١٣٩)، والحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٤٩٣)، والسيوطي في «العرف الوردي» (٢/ ٥٧-٨٧- حاوى)، والسخاوي في «فتح المغيث» (٣/ ٤٣)، والسفاريني في «لوامع الانوار البهية» (٢/ ٧٠)، والكتاني في «نظم المتناثر» (ص٤٧)، والبرزنجي في «الإشاعة لأشراط الساعة» (ص٨٧)، والشوكاني في «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي والدجال والمسيح»، والشنقيطي في «الجواب المقنع المحرر» (ص٣٠) وغيرهم كثير. =

قد تبين: أن المستقبل لهٰذا الدين، ولٰكن ما هي معالم المنهج الذي سيأخذ بيد المسلمين إلى مستقبلهم الزاهر، وتقدمهم الباهر، وانتصارهم القاهر لأعداء الله بإذن الله:

أ- إنه منهج على أثر صحابة رسول الله ﷺ يدل على ذٰلك أمور.

الأول: أن مستقبل الإسلام يتحقق بإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة؛ كما هو صريح في حديث حذيفة.

الثاني: أن الذي حقق مجد الإسلام هو الخلافة الراشدة التي جاءت بعد النبوة وكانت على منهج النبوة.

الثالث: أن رسول الله ﷺ أخبر بخلافة راشدة بعد النبوة وبخلافة راشده على منهاج النبوة؛ فتبين: أن مستقبل الإسلام كماضي الإسلام انتصار وازهار وانتشار.

الرابع: إن الذي حقق الخلافة الراشدة بعد النبوة هم أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان إذن فالذي يعيد الخلافة الراشدة على منهاج النبوة هم من كانوا على منهج السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم.

الخامس: أن قتال اليهود في آخر الزمان لن يكون مع الصحابة رضي الله عنهم، ولٰكن كيف صح الخطاب لهم بقوله ﷺ كما في حديث أبي هريرة وابن عمر: «**لتقاتلن اليهود**»؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله تقاتلكم اليهود» جواز مخاطبته الشخص والمراد من هو منه بسبيل؛ لأن الخطاب كان للصحابة والمراد من يأتي بعدهم بدهر طويل، ولٰكن لما كانوا مشتركين في أصل الإيمان ناسب أن يخاطبوا بذٰلك»[1].

فتبين أن من يأتي ليحقق مستقبل الاسلام هم من كانوا على منهج الصحابة رضي الله عنهم.

ب- أنه منهج إصلاحي تربوي يدل على ذٰلك أمور:

الأول: أن منهج الصحابة الذين حققوا الخلافة الراشدة بعد النبوة تربوي إصلاحي إذاً فمنهج الذين يحققون الخلافه الراشده على منهاج النبوه إصلاحي تربوي.

الثاني: أن خطاب الحجر أو الشجر للجيل الذي يحقق الخلافة الراشدة على منهاج النبوة يدل على أن منهجهم إصلاحي تربوي: يا مسلم يا عبد الله ولن تتحقق عبودية الله في النفس البشرية إلا بإصلاح وتربية.

الثالث: أن استخلاف المؤمنين والتمكين للدين في الأرض ثمرة للإصلاح والتربية كما جاء ذٰلك صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٦١٠).

وعد الله المؤمنين بالاستخلاف في الأرض، وبالتمكين لدينهم الّذي ارتضى لهم فيها، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً. . . وهو وعد واقع ماله من دافع، ووعد صادق غير مكذوب، لأنه وعد الله، ووعد الله حق، ولن يخلف الله الميعاد: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

والاستخلاف وعد الله للعصبة المؤمنة في كل عصر فهي سنة من سنن الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً: ﴿ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾.

وبداية الاستخلاف وآية فهمه: ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾.

أما أن التمكين بداية الاستخلاف، فإن التمكين للدين في تصريف شؤون الحياة وتدبيرها والهيمنة عليها لا يتم إلا بتمكينه في القلوب، فإذا تمكن الدين في قلوب دعاته، وتغلغل في دقائق تصرفاتهم فاعلم عندئذ أن وعد الله قريب.

وأما أن التمكين آية فهم الاستخلاف، فإن الاستخلاف يكون لعمارة الأرض على منهج الله، والانتفاع بكل ما أودعه الله فيها من التوجه بكل ذلك إلى الله، فالمؤمنون عندما يتمكن الدين من نفوسهم قبل أرضهم أمروا بالإصلاح والعدل، واستعلوا على شهوات الأرض، وساروا بالبشرية خطوات ليحققوا منهج الله الذي أراد الله، ولذلك فهم ينشرون الأمن ويجتنبون البغي والجور، فيكون مجتمعهم واحة أمن وأمان وسكينة وطمأنينة. . . وهنا يبرز أثر العبودية لله من قبل الاستخلاف والتمكين وبعده في قول الله سبحانه في الآية نفسها تعليلاً

للاستخلاف والتمكين والأمن: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾، فهل تحقيق العبودية يكون بعد الاستخلاف والتمكين؟.

والجواب بلا خلاف: أن تحقيق العبودية سبب الاستخلاف والتمكين.

إن للاستخلاف والتمكين تكاليف في ذات النفس وفي واقع الحياة:

للاستخلاف والتمكين تكاليفه في عدم الزهو به والبطر، وفي عدم التراخي بعده، والتهاون في أمر الله.

إن كثيراً من النفوس قد تثبت على المحنة والبلاء، ولٰكن القليل هو الذي يثبت على التمكين والنعماء... أليس الابتلاء يكون بالضرّاء والسرّاء؟

إنَّ ثبات القلوب على الحق بعد التمكين منزلة فوق الاستخلاف والتّمكين... فهي التي تحميه وتحرسه... وهٰذه هي الحقيقة التي نطق بها القرآن: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

إنه ثبات على المنهج بعد الاستخلاف والتمكين كما ثبتوا عليه من قبل وهم يلاقون أشد أنواع الابتلاء على يد الكافرين[١].

---

(١) وانظر لزاماً كتابي: «الثبات على الاسلام» (ص٤٤ - ٤٦) نشر دار المنار - الرياض.

وبه يتبين أن العبودية سبب الاستخلاف والتمكين؛ فقد وصفهم الله بالإيمان والعمل الصالح قبل الاستخلاف والتمكين، وهي غاية الاستخلاف والتمكين التي وصفهم الله بها، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وأظهر الله نبيه، ومكن لدينه، فكانوا آمنين . . . لقد تحقق وعد الله مرة، وظل متحققاً وواقعاً ما قام المسلمون على شرط الله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ﴾.

ثم غيروا؛ فغير الله ما بهم: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

إن العبودية حقيقة ضخمة لا بد أن يحققها من يريد الوصول إلى حقيقة وعد الله، ولا بد أن يبحث عن مصداقها في الحياة الإسلامية، وهو يدرك شروطها، قبل أن يتشكك أو يرتاب أو يستبطىء وقوعها.

إنه ما من مرة سارت هٰذه الأمة على منهج الله ليكون الدين كله لله إلا تحقق وعد الله بالاستخلاف والتمكين والأمن: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وإذا كانت العبودية لله سبب استخلاف وتمكين جيل القدوة الأول محمد ﷺ والذين معه؛ فهي كذلك سبب استخلاف وتمكين الطائفة المنصورة الذين هم على ما كان عليه محمد ﷺ والذين معه، فلن يصلح آخر هٰذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

لقد ظهر يقيناً ورأينا عياناً: أن المنهج المؤهل لإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وتحقيق مستقبل الإسلام المنشود، وقطع دابر يهود، واستئصال شأفة كل عدو لدود هو منهج السلف الصالح.

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

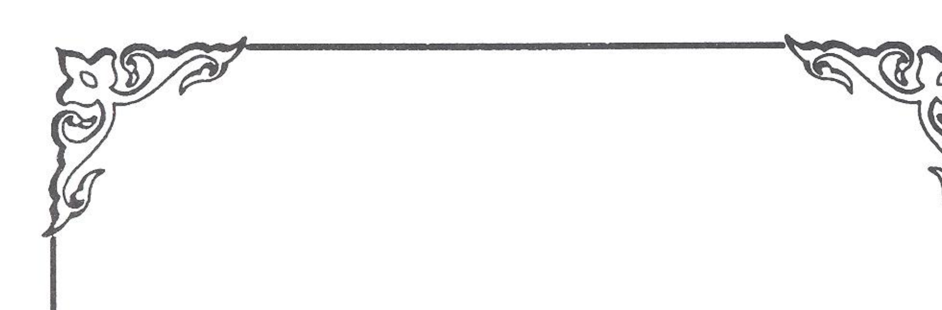


الخاتمة
رزقنا الله الحسنى وزيادة

لقد اتضحت بهٰذه الآيات الربانية والبينات السلفية معالم المنهج السلفي وأنه أولى بالأخذ به؛ لأنه سبيل المؤمنين الذين ورثوا هٰذا الدين عن سيد المرسلين غضاً طرياً، وبلغوه صافياً نقياً، وأن الأمة عندما تأخذ به بحق ويقين تستيقظ من غفلتها، وتنهض من كبوتها، وتُقال من عثرتها؛ كأنما نشطت من عقال.

ألا إن وعد الله قائم، ألا وإن شرط الله معروف؛ فمن شاء الوعد الكريم؛ فليقم الشرط، فمن وفّى وفّي له، ومن لا فلا، ومن أولى بعهده من الله. . . ولكنكم تستعجلون.





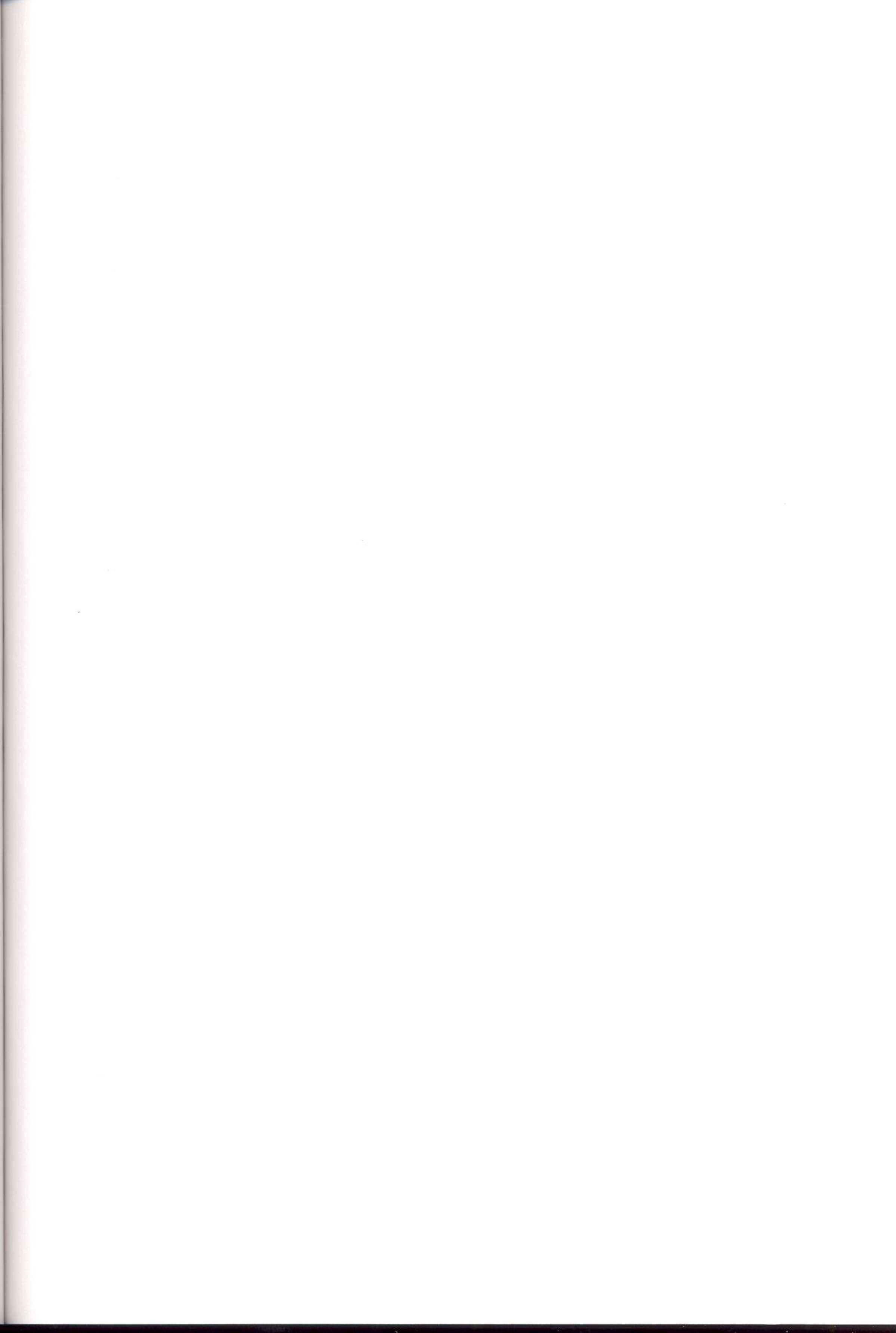
الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الموضوعات والفوائد العلمية



فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

حرف الألف

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

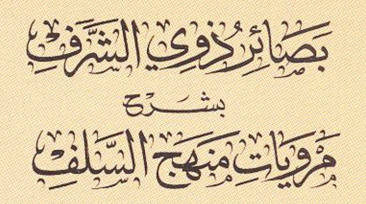


فهرس الآثار

فهرس الموضوعات والفوائد العلمية

البيِّنة للتنضيد والإخراج الفني

الأردن - عمان - ص.ب: (٩٨) رمز بريدي (١٣٧٨١)


بصائر ذوي الشرف
بشرح
مرويات منهج السلف